

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال الطوسي: أخبرنا محمد بن زياد ابن الأعرابي أبو عبد الله عن المفضل الضبي قال:

زعموا أن ضبة بن أد بن طابجة

بن الياس بن مضر بن معد

وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد والآخر سعيد، وأن إبل ضبة نفرت تحت الليل وهما معها، فخرجا يطلبانها، ففترقا في طلبها، فوجدها سعد فجاء بها، وأما سعيد فذهب ولم يرجع، فجعل ضبة يقول بعد ذلك إذا رأى تحت الليل سواداً مقبلاً أسعد أم سعيد فذهب قوله مثلاً؟؟ ثم أتى على ذلك ما شاء الله أن تأتي لا يجيء سعيد ولا يعلم له خبر، ثم إن ضبة بعد ذلك بينما وهو يسير والحارث بن كعب في الأشهر الحرم وهما يتحدثان إذا مرا على سرحة بمكان فقال له الحارث: أترى هذا المكان؟ فإني لقيت فيه شاباً من هيئته كذا وكذا - فوصف صفة سعيد - فقتلته وأخذت برداً كان عليه، ومن صفة البرد كذا وكذا - فوصف صفة البرد - وسيفاً كان عليه فقال ضبة: ما صفة السيف؟ قال: ها هوذا علي، قال: فأرينه، فأراه إياه فعرفه ضبة ثم قال إن الحديث لذو شجون ثم ضربه حتى قتله، فذهب قوله هذا أيضاً مثلاً. فالامه الناس وقالوا قتلت رجلاً في الأشهر الحرم فقال ضبة: سبق السيف العذل فأرسلها مثلاً. وقال الفرزدق يخاطب الخيار بن سبرة الجاشعي:

أأسلمتني للقوم أمك هابل ... وأنت دلنظي المنكبين بطين

خبيص من الجند المقرب بيننا ... من الشنء رابي القصريين سمين

فإن تك قد سالت دوني فلا تقم ... بدار بما بيت الدليل يكون

ولا تأمنن الحرب إن اشتغارها ... كضبة إذ قال الحديث شجون

الدلنظي: الضخم؛ والهابل: الثاكل؛ يقال شنتته أشنأه وشنأة أي أبغضته، والقيصري: الضلع التي تلي

الخاصرة، وأنشد لامرأة:

فيا رب لا تجعل شبابي وبهجتي ... لشيخ يعينني ولا لغلام

ولكن لعل قد علا الشيب رأسه ... ؟ بعيد مناظ القصريين حسام

واشتغارها: انتشارها وتفرفقها؛ وفي بعض الحديث أن امرأة افتخرت على زوجها فقال لها: ذهب الشغار

بالفخار، يقال شغر الكلب رجله اذا رفعها ليبول.

وزعموا أن المستوغر بن ربيعة

بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عاش زماناً طويلاً وكان من فرسان العرب في الجاهلية، فزعموا أن رجلاً شاباً من قومه كان له صديق يقال له عامر، وكان ذلك الفتى يقول لعامر إن امرأة المستوغر صديقة لي وإني آتيها، وإنه يطيل الجلوس في المجلس حتى لا يبقى أحد إلا قام، فأحب أن تجلس معه حتى إذا أراد أن يقوم تمطيت وتناعبت ورفعت صوتك تسمعي، فأنصرف من عند امرأته من قبل أن يفجأنا ونحن على حالنا تلك، وإنما كان ذلك صديقاً لأم عامر، فكان الفتى يشغله بحفظ المستوغر ليخالف الفتى إلى أم عامر فيكون معها، فإذا سمع التثاؤب خرج، ففطن المستوغر لعامر وما يصنع، فاشتمل على السيف، حتى إذا لم يبق أحد غيره وغير عامر قال: ألا ترى والذي أحلف به لئن رفعت صوتك لأضربن عنقك، قال: فسكت عامر، فقال له المستوغر: قم، فقاما إلى بيت المستوغر فإذا امرأته قاعدة بين بניה، قال: هل ترى من بأس؟ قال: لا أرى من بأس، قال له المستوغر: انطلق بنا إلى أهلك، فانطلقا، فإذا هو بذلك الفتى متبطناً أم عامر في ثوبها، فقال له المستوغر: انظر إلى ما ترى، ثم قال لعلي مضلل كعامر فارسها مثلاً، ومما زاده في هذا الحديث ما قاله المستوغر: إن المعافي غير مخدوع.

وزعموا أن الاضبط بن قريع

بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

كان يرى من قومه وهو سيدهم بغياً عليه وتنقصاً له فقال: ما في مجامعة هؤلاء خير، ففارقهم وسار بأهله حتى نزل بقوم آخرين، فإذا هم يفعلون بأشرفهم كما كان يفعل به قومه من التنقص له والبغي عليه، فارتحل عنهم وحل بآخرين، فإذا هم كذلك، فلما رأى ذلك انصرف وقال: ما أرى الناس إلا قريباً بعضهم من بعض، فانصرف نحو قومه وقال: أينما أوجه ألق سعداً فأرسلها مثلاً. ألق سعداً أي أرى مثل قومي بني سعد. ومما زاده قوله: في كل واد بنو سعد.

وزعموا أن ضرار بن عمرو

بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

أغار على كلب ثم على بني عدي بن جناب من كلب، فأصاب فيما أصاب أهل عمرو بن ثعلبة أخي بني عدي بن جناب، وكان صديقاً لضرار بن عمرو، ولم يشهد القوم حين أغير عليهم، فلما جاءهم الخبر تبع ضرار وكان فيما أخذ من أهله يومئذ سلمى بنت وائل الصائغ، وكانت أمه له وأمها وأختين لها، وسلمى هي أم النعمان بن المنذر ابن ماء السماء، فلما لحق عمرو بن ثعلبة ضراراً قال له عمرو: أنشلك المودة والاحياء فإنك قد أصبت أهلي فاردهم علي، فجعل ضراراً يردهم شيئاً شيئاً حتى بقيت سلمى وأختها،

وكانت سلمى قد اعجبت ضراراً، فسأله إن يردهن، فردهما غير سلمى، فقال عمرو بن ثعلبة: يا ضرار: أتبع الفرس لجامها فأرسلها مثلاً، فردها عليه وما زاده قوله: والدلو رشاءها.

وزعموا أن عمرو بن عدس

بن زيد بن عبد الله بن دارم تزوج بنت عمه دختنوس بنت لقيط بن زرارة بن

عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بعدما أسن، وكان أكثر قومه مالاً وأعظمهم شرفاً فلم تزل تولع به وتؤذيه وتسمعه ما يكره وتهجره وتهجره حتى طلقها، وتزوجها من بعد عمير بن معبد بن زرارة وهو ابن عمها، وكان رجلاً شاباً قليل المال، فمرت إبله عليها كأنها الليل من كثرتها فقالت لخدمتها: ويلك انطقي إلى أبي شريح - وكان عمرو يكنى بأبي شريح - فقولي له فليسقنا من اللبن، فاتاها الرسول فقال: إن بنت عمك دختنوس تقول لك اسقنا من لبنك، فقال لها عمرو قولي لها الصيف ضيعت اللبن. ثم أرسل إليها بلقوحين ورواية من لبن، فقال الرسول: أرسل إليك أبو شريح بهذا وهو يقول: الصيف ضيعت اللبن، فذهبت مثلاً فقالت وزوجها عندها، وحطأت بين كفيه، أي ضربت: هذا ومذقة خير فأرسلتها مثلاً. والمذقة شربة مزوجة.

وزعموا أن خالد بن مالك بن ربيعي

بن سلمى بن جندل بن نمشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك كان عند

النعمان بن المنذر

في الجاهلية، فوجده قد أسر ناساً من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فقال: من يكفل بمؤلاء؟ فقال خالد: أنا كفيل بهم، فقال النعمان: وبما أحدثوا، قال: نعم وإن كان الأبلق العقوق، فقال له النعمان: وما الأبلق العقوق؟ قال: هو الوفاء، فذهب الأبلق العقوق مثلاً، قال الشاعر:

فلو قبلوا منا العقوق أتيتهم ... بألف أودية من المال اقربا

أي تام.

طلب الأبلق العقوق فلما ... لم يصبه أراد بيض الأنوق

وزعموا أن كيس بن جابر بن قطن

بن نمشل بن دارم بن مالك بن حنظلة

كان عارض أمة لزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة يقال لها رشية، وكانت سبية أصابها زرارة من الرفيدات، ورفيدة قبيلة من كلب فولدت له عمراً وذوياً وبرغوثاً فمات كيس

وترعرعت الغلطة، فقال لقيط بن زرارة: يا رشية من أبو هؤلاء؟ قالت: كيس بن جابر، وكان لقيط عدواً
لضمرة بن جابر أخي كيس، قال: فاذهي هؤلاء الغلطة واقصدي بهم وجه ضمرة وأخبريه من هم،
فانطلقت بهم إلى ضمرة فقال: ما هؤلاء؟ قالت: هم بنو أخيك كيس بن جابر، فانتزع منها الغلطة - ثم
قال: الحقني بأهلك، فرجعت فأخبرت أهلها الخبر، فركب زرارة وكان حليماً حتى أتى بني هُشل فقال:
ردوا علي غلمتي، فشتمه بنو هُشل وأهجروا له، فلما رأوا ذلك انصرف حتى أتى قومه فقالوا له: ما
صنعت، قال: خيراً، والله ما زال يستقبلني بنو عمي بما أحب حتى انصرفت عنهم من كثر ما أحسنوا إلي، ثم
مكث عاماً ثم أتاهم فأعادوا عليه أسوأ ما كانوا فعلوا، فانصرف، فقال له قومه: ما صنعت؟ قال: خيراً، قد
أحسنوا إلي بنو عمي وأجملوا، فمكث كذلك سبع سنين يأتيهم كل سنة فيردونه أسوأ الرد، فبينما بنو هُشل
يسرون ضحى إذ لحق بهم لاحق فأخبرهم أن زرارة قد مات، فقال ضمرة: يا بني هُشل إنه قد مات حلم
إخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم، ثم قال ضمرة لنسائه: قمن أقسم بينكن الشكل، وكانت عنده هند بنت
كرب بن صفوان بن شحنة ابن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وامرأة سبية يقال
لها خليدة من بني عجل، وسبية من بني عبد القيس، وسبية من الأزد من بني طمثنان، فكان هن أولاد، غير
خليدة، فقالت هند - وكانت لها مصافية: ولي الشكل بنت غيرك فأرسلتها مثلاً.

فأخذ ضمرة شقة بن ضمرة وأمه هند، وشهاب بن ضمرة وأمه العبدية، وعتوة بن ضمرة وأمه الطمثنانية،
فأرسلهم إلى لقيط بن زرارة فقال: هؤلاء رهن لك بغلمانك حتى أرضيك منهم، فلما وقع بنو ضمرة في
يدي لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم، فقال في ذلك ضمرة بن جابر:

صرمت إخاء شقة يوم غول ... وإخوته فلا حلت حلالي

كأني إذ رهننت بني قومي دفعتهم إلى الصهب السبال

فلم أرهنهم بدمي ولكن ... رهنتهم بصلح أو بمال

صرمت إخاء شقة يوم غول وحق إخاء شقة بالوصال

يريد إخائي شقة فحذف الياء، فأجابه لقيط بن زرارة:

أبا قطن إني أراك حزينا وإن العجول لا تبالى خدينا

أفي أن صبرت نصف عام بحقنا ... وقبل صبرنا نحن سبع سنينا

العجول: التي مات ولدها.

وقال ضمرة بن جابر:

لعمرك إني وطلاب حبي وترك بني في الشطر الأعادي

لمن نوكى الشيوخ وكان مثلي إذا ما ضل لم يعيش بهادي

ثم إن بني هُشل طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطليهم إلى لقيط، فقال لهم المنذر: نحوا عني وجوهكم، ثم

أمر بخمر وطعام، ثم دعا لقيطاً فأكلا وشربا، حتى إذا أخذت الخمر فيهما قال المنذر للقيط: يا خير الفتيان

ما تقول في رجل اختارك الليلة على ندامى مضر؟ قال: وما أقول فيه؟ أقول إنه لا يسألني الليلة شيئاً إلا

أعطيته إياه غير الغلطة، قال له المنذر: وما الغلطة؟ أما إذا استثنيت فلست قابلاً منك حتى تعطيني كل شيء طلبته، قال: فذلك لك، قال: فإني أسألك الغلطة أن تبهيم لي، قال: سلني غيرهم، قال: ما أسألك غيرهم، فأرسل لقيط إليهم فدفعهم إلى المنذر، فلما أصبح لأمه أصحابه فقال لقيط في المنذر:

إنك لو غطيت أرجاء هوةٍ ... مغمسة لا يستبان ترابها

أرجاء البئر: نواحيها، والهوة: البئر، مغمسة: خفية مظلمة.

بثوبك في الظلماء ثم دعوتني ... لجت إليها سادراً لا أهابها

وأصبحت موجوداً علي ملوماً ... كأن نصيت علي حائض لي ثيابها

قوله: يطلبهم إلى لقيط يقال أطلبني حاجتي أي أسعفني على طلبها، واحليني أي أعني على الحل، والمسني حاجتي أي التمس معي، وقوله: نصيت يقال نضا الرجل ثوبه إذا نزع، قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

تقول وقد نصت لنوم ثيابها ... لدى الستر إلا لبسة المتفضل

وأرسل المنذر إلى الغلطة وقد مات ضمرة، وكان ضمرة صديقاً له، فلما دخل عليه الغلطة وكان يسمع

بشقة ويعجبه ما يبلغه عنه، فلما رآه المنذر قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فأرسلها مثلاً - قال

الكسائي: الطوسي يشدد الدال ويقول المعدي ينسبه إلى معد - قال له شقة: أسعدك إلهك إن القوم ليسوا

بجزر - يعني الشاء - إنما يعيش المرء بأصغريه، بقلبه ولسانه، والجزر: جمع جزرة وهي الشاة، فاعجب الملك

كلامه وسره كل ما رأى منه فسماه ضمرة باسم أبيه، فهو ضمرة بن ضمرة، وذهب قوله إنما يعيش الرجل

بأصغريه مثلاً.

زعموا أن تقن بنت شريق

أحد بني عثم من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم

كانت تحت رجل من قومها، وكان أخوها الريب بن شريق من فرسان بني سعد وأشرفهم، وكانت لها ضرة، ولضرتها ابن يقال له الحميت. فوقع بين تقن وضرتها شر فاستبتا وتراجرتا، فغلبتها تقن وشتمتها شتماً قبيحاً، فلما سمع ذلك الحميت اخذ الرمح فطعن به في فخذ تقن فأنفذ فحذها، فلما رأى ذلك أبوه - وكره

ان يبلغ أخاها - قال: اسكتي ولك ثلاثون من الإبل ولا يعلم بذلك أخوك، قالت: فأخرجها، فأخرجها

فوسمتها بمسيم أخيها الريب بن شريق وألحقتها بابلها، فكانت في إبلها ما شاء الله. ثم إن سفيان بن شريق

أخا الريب ورد الماء بابل، فلقي الحميت على الماء، فكان بينهما كلام، فضر به الحميت، وكان في عنق

سفيان بن ريق قروح فادمى تلك القروح، فأتى سفيان أخاه الريب فذكر له ذلك، فركب الريب فرساً له

يقال الهداج ثم لحق الحي وهم سائرون، فقال: من أحس من بكر أورك ضل من إبلي؟ فيقولون: ما رأينا،

ويميضي حتى لحق بالحميت وهو يسير في أول سلف الحي، فقال: هل أحسست من بكر أورك ضل من إبلي،

قال: ما رأيته؛ ثم ان الريب ألقى سوطه كأنه وقع منه، فقال للحميت: ناولني سوطي، فأكب يناوله السوط

فقال: أعركين بالضفير - الضفير: السير المظفور، والضفير موضع، ثم ضربه بالسيف على مجامع كتفيه

ضربةً كادت تقع في جوفه، ثم مضى على فرسه، فذهب قوله: أعركنين بالضعيف مثلاً. يقول: أعركنين مرة على أخي ومرة على أخي. وقال الريب بن شريق:
بكت تقن فأذاني بكاهها ... وعز علي أن وجعت نساها
سأثار منك عرس أهلك إني ... رأيتك لا تجأجيء عن حماها
يعني بالعرس هنا تقناً، يقال جأجأ بابله، إذا حثها على الشرب.
دلفت له بأبيض مشرفي ... ألم على الجوانح فاختلاها
دلفت: من الدليف وهو مشي سريع في تقارب خطو.
فان ييرا فلم أنفت عليه ... وان يهلك فأجال قضاها
وكان مجرباً سيفي صنيعاً ... فيا لك نبوة سيفي نباها
رأيت عجوزهم فصلدت عنها ... لها رحم وواق من وقاها
وخفت الصرم من حفص بن سودٍ ... وأتبع الجناية من جناها
الحفص: من قبيلة الحميت، وكان صديقاً للريب بن شريق.

زعموا أن مالك بن زيد

مناة بن تميم

كان رجلاً أحمق، فزوجه أخوه سعد ابن زيد مناة النوار بنت جد بن عدي بن عبد مناة بن أد ورجا سعد إن يولد لأخيه. فلما كان عند بناءه أدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى اذا كان بباب بيته قال له سعد: لج بيتك، فأبي مالك، فعاتبه مراراً فقال له سعد: لج مال ولجت الرجم - الرجم: القبر - فأرسلها مثلاً، ثم إن مالكا دخل ونعلاه معلقتان في ذراعيه فلما دنا من المرأة قالت له ضع نعليك قال: ساعداي أحرز لهما فأرسلها مثلاً، ثم أتى بطيب فجعل يجعله في استه فقالوا له يا مالك ما تصنع؟ قال: " استي اخبثي فأرسلها مثلاً. فولدت النوار لمالك بن زيد مناة حنظلة ومعاوية وقيسا وربيعه، فقال الشاعر الفرزدق:
ولولا إن يقول بنو عدي ... ألم تك أم حنظلة النوارا
إذن لأتى بني ملكان قول ... إذا ما قيل انجد ثم غارا
ليس في العرب ملكان - بالفتح - إلا ملكان بن هند بن جرم في قضاة.

زعموا أن أم خارجة بنت سحمة

بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار

البجلية - وهي أم علس

كانت تحت رجل من اباد، وكان أبا عذرهما، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فخلعها منه دعي بن خلف

بن دعج بن سحيمة بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن عبد الله بن سعد بن قذاذ وهو ابن اخيها فتزوجها بعده عمرو بن تميم، فولدت له أسيد بن عمرو بن تميم، والعبر بن عمرو، والمهجم، والقليب. ثم خلف عليها بعده بكر بن عبد مناة من كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر، فولدت له: ليث بن بكر، والحارث بن بكر والدليل بن بكر؛ ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية، فولدت له: غاضرة بن مالك، وعمرو بن مالك، وولدت في قبائل العرب.

زعموا أن الخاطب كان يأتيها فيقول: خطب، فنقول نكح، فقيل: أسرع من نكاح أم خارجة فصار مثلاً. وزعموا أن بعض ولدها كان يسوق بها يوماً فرفع لهم راكب، فقالت: ما هذا؟ فقال ابنها: إخاله خاطباً، فقالت: يا بني هل تخاف أن يعجلنا إن نحل، ما له ال وغل، فصار مثلاً. وزعموا أن رجلاً كانت له صديقة وكان لها زوج غائب، فكان صديق تلك المرأة يأتيها فيصيب منها، فجاء زوجها ولم يعلم به صديقها، وجاء الصديق كعادته فوجد الزوج مضطجعاً بفناء البيت، فحسبه المرأة، فرفع برجليه، فوثب إليه الرجل فأخذه ودعا بالسيف ليقتله، وهو جار معاوية بن سنان بن جحوان بن عوف ابن كعب بن عشم بن سعد بن زيد بن تميم، فنادى المأخوذ: يا معاوي ابن سنان هل أوفيت؟ - يقال وفي الرجل واوفي بمعنى واحد - فسمع معاوية فظن انه مكروب حين سمع صوته فنادى: نعم وتعليت أي زدت على الوفاء فذهب مثلاً، فقال له زوج المرأة: أمنحياً أي ناذراً قال: نعم - المنحب: المراهن. والمنحب الدائب أيضاً.

زعموا أن خالد بن معاوية

بن سنان بن جحوان بن عوف بن كعب بن عشم بن سعد

ساب رجلاً من بني عثم - وهو من بني جشم بن سعد بن زيد مناة ابن تميم - عند النعمان بن المنذر، فقال لهم خالد وهو يرجز بهم:

دوموا بني عثم ولن تدوموا ... لنا ولا سيدكم مرحوم

إنا سراة وسطنا قروم قد علمت أحسابنا تميم

في الحرب حين حلم الأديم فذهب قوله حلم الأديم مثلاً.

وقال خالد وهو يرجز بهم:

إن لنا بآل عثم علماً أستاذ أم يعترين لحما

أفواه أفراس أكلن هشماً ... إذا لقيت انفحياً وخما

منهم طويلاً في السماء ضخماً ... لا يحتر النازل إلا لظما

تركبهم خير قويس سهما القويس: القوس الرديئة، والحر: العطية، أي لما هجوت رؤساءهم صاروا أذلة فكيف بغيرهم، فذهب قوله خير قويس سهما مثلاً.

قال أبو عبد الله: يريد تركت من هجوته وهو ذليل فإذا كان ذليلاً وهو خير قومه فأبي شيء حال قومه؟
وقال خالد وهو يرجز بالمنذر بن فدكي أخي بني عثم وكان سيدهم يومئذ عند النعمان:
فان عين المنذر بن فدكي ... عينا فتاة نقتت أمس هدي
فرجز به شاعر بني عثم، فعقر به خالد بن معاوية، ومع خالد أخ له، فاستعدوا عليهما النعمان، فقال خالد:
أبيت اللعن، أنا أركب وأخي ناقة، ثم نتعرض لهم كما تعرضوا لنا، فإن استطاعوا فليعقروا بنا، فأعجب
ذلك النعمان وقال: قد أعطاكم بحقكم، قالوا: قد رضينا، قال النعمان: أما والله لنجدنا ألوى بعيد المستمر
فأرسلها مثلاً.

الألوى: المانع لما عنده، والمستمر: استمرار عقله وحزمه.
فاكتفل خالد وأخوه ناقتيهما بكفل وتأخر أحدهما على العجز وجعل وجهه من قبل الذنب، وتقدم أحدهما
إلى الكتف، فجعل كل واحد يذب بسيفه مما يليه فلم يخلصوا إلى أن يعقروا بهما فأتى النعمان فقال: أبيت
اللعن قد أعطيناكم بحقكم فعجزوا عنه فنظر النعمان إلى جلسائه فقال: أترون قومه كانوا يتبعونه بأبلخ
جهول، فأرسلها مثلاً.

زعموا أن السليك بن السلكة التميمي

ثم أحد بني مقاعس - ومقاعس: الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة - كان من أشد
فرسان العرب وأنكرهم وأشعرهم، وكانت أمه سوداء، وكانوا يدعونه سليك المقانب - والمقنب ما بين
الثلاثين إلى الخمسين - وكان أدل الناس بالأرض، وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل، زعموا أنه
كان يقول: اللهم إنك قهيء ما شئت لما شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت
أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة، أي لا أهاب أحد.

فذكر أنه افتقر حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر عليه فيذهب
بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مغمرة، فاشتمل الصماء - واشتمال الصماء أن يرد فضل
ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها - فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل فقعد على جنبه فقال:
استأسر، فرفع السليك إليه رأسه فقال: إن الليل طويل وأنت مقمر فأرسلها مثلاً. ثم جعل الرجل يلهزه
ويقول: يا خبيث استأسر، فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده فضم الرجل ضمة إليه شرط منها وهو فوقه
فقال له السليك: أضراطاً وأنت الأعلى فأرسلها مثلاً. ثم قال له السليك: من أنت؟ قال: أنا رجل افتقرت
فقلت لأخرجن فلا أرجعن حتى استغني فأتي أهلي وأنا غني، قال: فانطلق معي. قال: فانطلقا حتى وجدا
رجلاً قصته مثل قصتهما، فاصطحبوا جميعاً، حتى اتوا الجوف - جوف مراد الذي باليمن - فلما أشرفوا
على الجوف، إذا نعم قد ملاً كل شيء من كثرته، فهابوا أن يعبروا فيطردوا بعضهم فليحققهم الحي، فقال
لهما السليك: كونا قريباً حتى آتي الرعاء فاعلم لكم علم الحي أقرب أم بعيد، فإن كانوا قريباً رجعت
إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى به لكما، فأغبروا؛ فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل

يتسقطهم حتى أحبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد إن طلبوا لم يدركوا، فقال لهم السليك: ألا أغنيكم؟
فقالوا: بلى، فتغنى بأعلى صوته فقال:

يا صاحبي إلا لا حي بالوادي ... إلا عبيد وأم بين اذواد

آم: جمع أمة العشر، ثم إماء لما بعد العشر.

أتظن قليلاً ريث غفلتهم ... أم تعدوان فإن الريح للعادي

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل فذهبوا بها فلم يبلغ الصريخ إلى الحي حتى مضوا بما معهم.

وزعموا أن السليك خرج ومعه عمرو وعاصم ابنا سري بن الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم

يريد أن يغير في أناس من أصحابه، فمر على بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب

ومطر، فإذا هو بيت قد انفرد من البيوت عظيم، وقد أمسى، فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا وكذا حتى

آتي أهل هذا البيت فلعلي أصيب لكم خيراً أو آتيكم بطعام، فقالوا فافعل، فانطلق وقد أمسى وحن عليه

الليل، فإذا البيت بيت يزيد بن رويم الشيباني، وهو جد حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم، وإذا

الشيخ وامرأته بفناء البيت، فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن أراح ابن له ابله، فلما أن

أراحها غضب الشيخ وقال لابنه: هلا كنت عشيتها ساعة من الليل؟! فقال ابنه: إنها أبت العشاء، فقال:

العاشية تميج الآبية فأرسلها مثلاً.

العاشية: التي تتعشى، تميج آبي العشاء فيتعشى معها. ثم غضب الشيخ فنفض ثوبه في وجوهها إلى مرتعها

وتبعها الشيخ حتى مالت لأدنى روضة فترعت فيها، وجلس الشيخ عندها للعشاء فغطى وجهه في ثوبه من

البرد، وتبعه السليك، فلما وجد الشيخ مغتراً ختله من ورائه ثم ضربه فأطار رأسه وصاح بالإبل فاطردها،

فلم يشعر أصحابه - وقد ساء ظنهم به وتخوفوا عليه - حتى إذا هم بالسليك يطردها، فطردوها معه فقال

السليك:

وعاشية رج بطن ذعرهما بصوت قتيل وسطها يتسيف

فبات لها أهل خلاء فناؤهم ومرت بهم طير فلم يتعيفوا

وباتوا يظنون الظنون وصحبتى ... إذا ما علوا نشراً أهلوا وأوجفوا

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدن لأسباب المنية أعرف

وحى رأيت الجوع بالصيف ضربي ... إذا قمت يغشاني ظلال فأسدف

زعموا أن العيار بن عبد الله الضبي

ثم أحد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة وفد هو وحبيش بن دلف وضرار بن عمرو الضبيان

على النعمان فأكرمهم وأجرى عليهم نزلاً، وكان العيار رجلاً بطالاً يقول الشعر ويضحك الملوك، وكان قد

قال قبل ذلك:

لا أذبح النازي الشوب ولا ... أسلخ يوم المقامة العنقا

لا آكل الغث في الشتاء ولا ... أنصح ثوبي إذا هو انحرقا
ولا أرى أخدم النساء ول - كن فارساً مرة ومنتطقا

وكان منزلهم واحد، وكان النعمان بادياً، فأرسل إليهم بجزر فيهن تيس، فأكلوهن غير التيس، فقال ضرار
للعيار - وهو أحدثهم سناً - ليس عندنا من يسلخ لنا هذا التيس فلو ذبحته وسلخته وكفيتنا ذلك فقال
العيار فما أبالي أن أفعل فذبح ذلك التيس ثم سلخه، فانطلق ضرار إلى النعمان فقال: آيت اللعن هل لك في
العيار يسلخ تيساً؟ قال: أبعد ما قال؟ قال: نعم، فأرسل إليه النعمان فوجده يسلخ تيساً، فأتى به فضحك به
ساعة؛ وعرف العيار أن ضراراً هو الذي أخبر النعمان بما صنع، وكان النعمان يجلس بالهاجرة في ظل
سراذقة، وكان كسا ضراراً حلة من حلله، وكان ضراراً شيخاً أعرج بادناً كثير اللحم، فكست العيار حتى
إذا كانت ساعة النعمان التي يجلس فيها في ظل سراذقة ويؤتى بطعامه عمد العيار إلى حله صرار فلبسها، ثم
خرج يتعارج، حتى إذا كان بجبال النعمان وعليه حلة ضرار كشفها عنه فخرى، فقال النعمان: ما لضرار
قاتله الله لا يهابني عند طعامي؟ فغضب على ضرار، فحلف ضرار أنه ما فعل، قال: ولكني أرى العيار وهو
فعل هذا من أجل أبي ذكرت لك سلخة التيس، فوقع بينهما كلام حتى نشأما عند النعمان. فلما كان بعد
ذلك ووقع بين ضرار وبين أبي مرحب أخي بني يربوع ما وقع تناول أبو مرحب ضراراً عند النعمان والعيار
شاهد فشم العيار أبا مرحب ورجز به فقال النعمان للعيار: أتشتم أبا مرحب في ضرار، وقد سمعتك تقول
له شراً مما قال أبو مرحب؟! قال العيار آيت اللعن وأسعدك إهلك: إني آكل لحمي ولا أدعه لآكل فأرسلها
مثلاً، فقال النعمان: لا يملك مولى لمولى نصراً.

وزعموا أن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة

وكان خطيباً كثير المال عظيم المنزلة من الملوك، وانه كان مع بعض الملوك فقال له: إنه قد بلغني عن أخيك
نمشل بن دارم خير، وقد أعجبتني أن تأتيني به فأصنع خيراً إليه، وكان نمشل من أجمل الناس وأشجعهم،
وكان عبي اللسان قليل المنطق، فلم يزل ذلك الملك بمجاشع حتى اتاه بنمشل، فأدخله عليه وأجلسه،
فمكث نمشل لا يتكلم، وقد كان أعجب الملك ما رأى من هيئته وجماله، فقال له الملك: تكلم، قال: الشر
كثير، فسكت عنه، فقال له مجاشع: حدث الملك وكلمه، فقال له نمشل: إني والله ما أحسن تكذابك
وتأتمك، تشول بلسانك شولان البروق، فارسل: شولان البروق مثلاً.
البروق: الناقة التي تشيل ذنبها تري أهلها انها لاقح وليست بلاقح.

زعموا أن شهاب بن قيس

أحبا بني خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم

خرج مع خاله اوفى بن مطر المازني، ومعه رجل آخر من بني مازن يقال له جابر بن عمرو، فكانوا ثلاثة، وكان جابر يزجر الطير، فبينما هم يسرون إذ عرض لهم اثر رجلين يسوقان بعيرين ويقودان فرسين، قالوا: فلو طلبناهما، قال جابر: فاني أرى أثر رجلين يسوقان بعيرين شديد كليهما الفرار بقراب أكيس فأرسلها مثلاً، وفارقهما. ومضى أوفى بن مطر وشهاب في اثر الرجلين وكان على أوفى بن مطر يمين لا يرمي بأكثر من سهمين، ولا يستجيره رجل أبداً إلا أجاره، ولا يغتر رجلاً حتى يؤذنه، فهاجا بالرجلين وهما في ظل طلحة، واذا هما من بني أسد ثم من بني فقعس، فلما رأى اوفى أحدهما قال له: استمسك فانك معدو بك، أي محمول، فقال الاسدي: انك لا تعدو بعير أمك وانما تعدو بليث مثلك يجد بالمصاع كوجدك فقال اوفى بن مطر: يا شهاب ارم فان يده في غمة، قال الاسدي:

لا تحسبن أن يدي في غمه ... في قعر نحي أستثير حمه
ليس لو احد علي منه ألا ولا اثنين ولا أهمة
إلا الذي وصى بتكل أمه
فقال اوفى بن مطر:

دع الرماء واقرب هلمه ... إلى مصاع ليس فيه حمه
فذاك عندي ابن العجوز الهمة

نصب ابن على النداء. فرى أوفى بن مطر الاسدي فصرعه، ورمى شهاباً الاسدي الآخر فصرعه، فقال الآخر: جواراً يا أوفى، فقال له: على مه؟ قال: على أحد الفرسين وأحد البعيرين وعلى أن نداوي صاحبينا، فأيهما مات قبل قتلنا به صاحبه، فواتقا على ذلك، وانطلقا بهما وهما جريحان، حتى نزلا على وشل بجيلة الذي يقال له شعب جبلة، فمكتوا بذلك أربعتهم زماناً يغيرون ثم يأتون بغنيمتهم على جبلة فيقسمونها، فقال اوفى بن مطر في ذلك لجابر بن عمرو ويعيره فراره:

إذا ما أتيت بني مازن ... فلا تسق فيهم ولا تغسل

فليتك لم تدع من مازن ... وليتك في البطن لم تحمل
وليت سنانك صنارة ... وليت قناتك من مغزل
ونيط ببقويك ذو زرنب ... جميش يوكل للفيشل
تجاوزت حمران من ساعة ... وختل قساساً من الحرمل
فمن مبلغ خلتي جابراً ... بأن خليلك لم يقتل
تخاطأت النبل أحشاءه ... وآخر يومي فلم يعجل

كان مر باع مالك بن حنظلة في الجاهلية في زمان صخر بن هشل بن دارم لصخر، فقال له الحارث بن عمرو بن آكل المرار الكندي: هل أدلك يا صخر على غنيمة على أن لي خمسها، فقال له صخر: نعم، فدلته على ناس من أهل اليمن، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا، وملاً يديه من الغنائم وأيدي أصحابه؛ فلما انصرف قال له الحارث: أنجز حر ما وعد فأرسلها مثلاً، فادار صخر قومه على أن يعطوه ما كان جعل

للحارث فأبوا عليه ذلك، وفي طريقهم ثنية متضايقة يقال لها شجعات فلما دنا القوم منها سار صخر حتى وقف على رأس الثنية وقال: أزهت شجعات بما فيهن - وأزمت أي ضاقت - لا يجوزن أحد بذمة صخر، فأرسلها مثلاً. فقال حمرة بن ثعلبة بن جعفر بن يربوع: والله لا نعطيه شيئاً من غيمنتنا، ثم مضى في الثنية، فحمل عليه صخر بن هشل بن دارم فقتله، فلما رأى الجيش ذلك أعطوه أجمعون الخمس، فدفعه إلى الحارث بن عمرو فقال في ذلك هشل بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن دارم:

نحن منعنا الجيش إن يتأبوا ... على شجعات والحياد بنا تجري
حسناهم حتى أقروا بحكمنا ... وأدي أنفال الخميس إلى صخر

زعموا أن النمر بن تولب العكلي

كان أحب امرأة من بني أسد بن خزيمة يقال لها حمرة بنت نوفل، وقد أسن يومئذ، فاتخذها لنفسه وأعجب بها، وكان له بنو أخ فراودها بعضهم عن نفسها، فشكت ذلك إلى نمر وقالت: إن بني أخيك ربما راودني بعضهم عن نفسي، ولست آمنهم إن يغلبوني فقال لها النمر: قولي لهم وقولي إن أرادوا شيئاً من ذلك، وقالت حمرة: إني سأكفيك ما كان قولاً فأرسلتها مثلاً، تقول إن كان القول فاني سأكفيك القول.

زعموا أن جارية بن سليط

بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك

وسليط هو كعب، وإنما سمي سليطاً لسلطة لسانه - كان أحسن الناس وجهاً وأمدهم جسماً، وأنه أتى عكاظ وكانت من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، فأبصرته جارية من خنعم فأعجبها، وتلقت له حتى وقع عليها، فلما فرغ قالت: انك اتيتني على طهر وإني لا ادري لعلي سأعلق لك ولدًا فمعدك فصال ولدي إن حملت لك، فسمى لها اسمه، حتى وافى عكاظ لرأس ثلاثة أحوال، فوجدها قد ولدت غلاماً وفطمته، فأقبلت الجارية معها أمها وخالتها يلتمسنه بعكاظ حتى رآته الجارية فعرفته، فلما رآته قالت الجارية: هذا جارية، قالت أمها: بمثل جارية فلتزن الزانية سرّاً او علانية. ثم دفعن إليه الغلام فسماه عوفاً فشرف وصاد قومه، وهو عوف الأصم. فذكر أن بني مالك بن حنظلة وبني يربوع تحالوا يوماً فقام عمرو بن همام ابن رباح بن يربوع يخابل عن بني يربوع فقال الناس: ادخلوا عوفاً الأصم البيت فإنه إن علم بما بينكم وشهد المخايلة أهلك هذين الحيين وأبي ذلك، فأولجوا عوفاً قبة من قباب الملك لكيلا يسمع ما بينهم فظفر بنو مالك، ونادى مناد أين عوف؟ فقالت امرأته: عوف يرنا في البيت فأرسلتها مثلاً، فسمع عوف الكلام فوثب فإذا الناس فئتان يتخيلون، وضرب خطم فرس الملك بالسيف وهو مربوط بفناء القبة، فنشب السيف في خطم الفرس وقطع الرسن، وجال في الناس فجعلوا يقولون جهجوه جهجوه أي ازجروه وكفوه، فذلك قول متمم بن نويرة في يوم جهجوه:

وفي يوم جهجوه حمينا ذماركم ... بعقر الصفايا والجواد المرب

قال العجاج:

لقد أربي ولقد أربي غراً كآرم الصريم الغن

قوله أربي من الرنو وهو النظر الدائم، أي يلهو، جهجه به وهجهج به حبسه ومنعه، والصفايا من النوق الغزار، الواحد صفي.

أغار جبيلة بن عبد الله أخو بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم على إبل جرية بن أوس بن عامر أخي بني أثمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم يوم مسلوق، فاطردوا ابله غير ناقة كانت فيها مما يجرم أهل الجاهلية ركوبه، وكان في الابل ابن أخت جرية، وكان فيها فرس لجرية يقال له العمود، وكان مربوطاً بعراة، فاجتذبا فبقيت في طرف رسنه، فذهب وذهب القوم بالابل غير تلك الناقة الحرام، فأنهم أخرجوها وكرهوا أن تكون في الابل لأنها حرام، وبلغ جرية الخبر، فإذا القوم قد سبقوا بالابل غير تلك الناقة الحرام، فقال جرية لابن أخته: رد علي الناقة لعلي اركبها في أثر القوم، قال: إنها حرام، قال جرية: حرامه يركب من لا حلال له فركب في أثر القوم حتى أدركهم، فأقبل عليه جبيلة فاختلفا بينهما طعنتين فقتله جرية وأحرز القوم الابل فذهبوا بها، وذهب قوله: حرامه يركب من لا حلال له مثلاً. وقال جرية في ذلك:

إن تأخذوا إبلي فان جيلكم ... عند المزاحف ثوبه كالحيل

الحيل: النطع والبيت من آدم والنقبة تلبسها الجارية من آدم.

أنحى السنان على مجامع زوره ... إذا جاء يزدلف ازدلاف المصطلي

نرمي برامحنا خصاصة بيتنازالت دعامة أينا لم ينزل

إذ ينسلون بذئ العراد وفاتني فرسي و لا يجزئك سعي مضلل

ومفاضة زغف كأن قتيورها حدق الأسود لوئها كالجول

تضفو على كف الكمي كما ضفا ... سيل الأضاء على حبي الاعبل

أبغى نكيثة نفسه بمهند كعصا الحديددا في سنان منجل

المفاضة: الدرع الواسعة، والقثير: مسامير الدرع، وقال ابن الأعرابي: الجول: الفضة، الاعبل: الجبل

الايض، والحبي: ما تحبا أي اجمع وحبي الاعبل: ما اتصل منه وحبا بعضه إلى بعض أي دنا، والأعبل:

حجارة بيض، والاضاء: الغدران الواحدة اضاة فإذا كسرت في الجمع مدت وإذا فنتحت قصرت،

والجديداء: أثوب الخاتك الذي يجده يقطعه، ومنجل: واسع الطعن، وعين نجلاء واسعة.

زعموا أن زرارة بن عدس

بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك

رأى يوماً ابنة لقيطاً مختالاً وهو شاب فقال: والله انك لتختال كأنك أصبت بنت قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ومائة من هجائن المنذر بن ماء السماء، قال: فان لله علي لامس رأسي غسل ولا أشرب خمراً حتى آتيك بابنة قيس ومائة من هجائن المنذر أو أبلي في ذلك عنراً، فسار لقيط حتى أتى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وكان سيد ربيعة وبيتهم، وكان عليه يمين إلا يخطب إليه إنسان علانية إلا ناله بشر، وسمع به، فأتاه لقيط وهو جالس في القوم، فسم عليه ثم خطب إليه علانية، فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: أنا لقيط بن زرارة، قال: فما حملك على إن تخطب إلي علانية؟ قال: لأني قد عرفت إني إن اعانك لا أشنك وإن أناجك لا أهدعك قال قيس: كفؤ كريم لا جرم والله لا تيت عندني لا عزباً ولا محروماً، ثم أرسل إلى أم الجارية: إني قد زوجت لقيطاً القذور بنت قيس فاصنعها حتى يبتني بها، وساق عنه قيس، فابتي بها لقيط وأقام معهم ما شاء الله أن يقيم، ثم احتمل بأهله حتى أتى المنذر بن ماء السماء فأخبره بما قال أبوه، فأعطاه مائة من هجائنه، ثم انصرف إلى أبيه ومعه بنت قيس ومائة من هجائن المنذر. وزعموا أن لقيطاً لما أراد أن يرتحل بابنه قيس إلى أهله قالت له: أريد أن ألقى أبي فأسلم عليه وأودعه ويوصيني، ففعلت، فأوصاها وقال: يا بنية كوني له أمة يكن لك عبداً، وليكن أطيب ريحك الماء حتى يكون ريحك ريح شن غب مطر - والشن طيب الريح غب المطر - وإن زوجك فارس من فرسان مضر، وأنه يوشك أن يقتل أو يموت، فإن كان ذلك لا تخمشي وجهاً ولا تحلقي شعراً. فلما أصيب لقيط احتملت إلى قومها وقالت: يا بني عبد الله أوصيكم بالغرائب شراً فوالله ما رأيت مثل لقيط لم يحمش عليه وجهه ولم يخلق عليه رأس، ولولا أنني غريبة لخمشت وحلقت، فلما انصرفت إلى قومها تزوجها رجل منهم فجعل يسمعها تكثر ذكر لقيط، فقال لها: أي شيء رأيت من لقيط قط أحسن في عينك؟ قالت: خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر وصرع منها وأتاني وبه نضج الدماء والطيب ورائحة الشراب، فضمته ضمة وشمته شمة، فوددت أني كنت مت شمة، فلم أر قط منظراً أحسن من لقيط، فسكت عنها زوجها حتى إذا كان يوم دجن شرب وتطيب ثم ركب فصرع من البقر، فأتاها وبه نضج الدماء والطيب وريح الشراب، فضمته إليها، فقال: كيف تريني أنا أحسن أم لقيط؟ فقالت: ماء ولا كصداء فأرسلتها مثلاً. وصداء ركية ليس في الأرض ماء أطيب منها مذكورة بطيب الماء قد ذكرها الشعراء، قال ضرار بن عتبة السعدي:

فاني وقيامي بزيب كالذي يخالس من أحواض صداء مشربا
يرى دون برد الماء هولاً وذادة إذا شد صاحوا قبل أن يتحبا
يتحجب: يشرب حتى يروى، وقط إذا أريد بها الكفاية كسرت مثل قولك: كسبت درهماً فقط، وإذا أريد الدهر رفعت كقولك ما رأيت قط. قال حبيب بن عيسى: الحديث أنه كان بين لقيط بن زرارة وبين رجل من أهل بيته يقال له زيد بن مالك ملاحاة فغيره زيد بتركة النكاح وقال: إن أكفاء أهل بيتك يرغبون عنك، ومن غيرهم من العرب عنك أرغب، فلما زوجه قيس قال:

ألم يأت زيدا حيث أصبح أني ... تزوجتها إحدى النساء المواجد
عقيلة شيخ لم يكن لينالها سوى عدسي من زرارة ماجد
إذا اتصلت يوماً بنسبتها انتهت ... إلى آل مسعود بن قيس بن خالد

كأن رضاب المسك دون لثاتها على شيبم من ماء مزنة بارد
لها بشر صافي الأديم كأنهلجين تراه دون حمر الجاسد
إذا ارتفعت فوق الفراش حسبتها شريحة نبع زينت بالقلائد
متى تبغ يوماً مثلها تلق دوها مصاعد ليست سبلها كالمصاعد
كان سعد بن زيد مناة بن تميم وهو الفزر وكانت تحته الناقمية فولدت له فيما زعم الناس صعصعة أبا عامر
- قال شريح بن الأحوص وهو ينتمي إلى سعد:
تمناني ليلقاني لقيط ... أعام لك ابن صعصعة بن سعد
وقال المخبل:

كما قال سعد إذ يقود به ابنه ... كبرت فجبني الأرنب صعصعا

وأكثر في ذلك شعراء بني عامر وبني تميم - فولدت له هبيرة بن سعد، وكان سعد قد كبر حتى لم يكن يطيق
ركوب الجمل، إلا أنه يقاد به ولم يملك رأسه، فقال سعد وصعصعة يوماً يقود به جملة: قد لا يقاد بي الجمل
أي قد كنت لا يقاد بي الجمل، فذهب مثلاً. وكان سعد كثير المال والولد، فزعموا أنه قال لابنه يوماً هبيرة
بن سعد: اسرح في معزك فارعها، قال: والله لا أرهاها سن الحسل، وهو ولد الضب ولم يوجد دابة قط
أطول عمراً منه، وسن كل دابة يسقط إلا سن الحسل، قال: يا صعصعة اسرح في غنمك، قال: لا والله لا
أسرح فيها ألوة الفتي هبيرة ابن سعد - ألوة وألوة وألية بمعنى - فغضب سعد وسكت على ما نفسه، حتى
إذا أصبح بالمعزى بسوق عكاظ والناس مجتمعون بها فقال: ألا إن هذي معزاي فلا يجل لرجل أن يدع أن
يأخذ منها شاة، ولا يجل لرجل أن يجمع منها شاتين، فانتهبها الناس وتفرقت فيقال: حتى يجتمع معزى الفزر
فذهبت مثلاً. وقال شيب بن البرصاء:

ومرة ليسوا نافعيك ولن ترى ... لهم مجعاً حتى ترى غنم الفزر

وقال حبيب بن عيسى: كان من حديث الفزر مع امرأته الناقمية أنه قال لصعصعة في يوم الناقمية فيه
مراغمة له: اخرج يا صعصعة في معزك، فقالت أمه: لا يخرج صعصعة ويقعد كعب، اخرج يا هبيرة، قال:
لا والذي يحج إليه على الركاب، قال: فاخرج أنت يا كعب، قال: وألية الفتي هبيرة لا أفعل، فألح على
صعصعة فقالت أمه: ليس لك من شيخك إلا كده، فاخرج والله ما تصلح لغيرها، قال: إذا والله أحسن
رعايتها اليوم، فخرج حتى اضطرها إلى أصل علم، ووافق ذلك نفور الناس من عكاظ، فجعل لا يمر به جمع
إلا حبسهم حتى إذا توافى بشر كثير أمرهم فانتهبوا غنمه، وسخطت الناقمية ما صنع فقارقت، فذلك قوله:

أجد فراق الناقمية فانتوتأم البين يحلوي لمن هو مولع

لقد كنت أهوى الناقمية حقبة وقد جعلت أقران بين تقطع

فلو لا بنياها: هبيرة إنه بني الذي يشفي سقامي وصعصع

لكان فراق الناقمية غبطة ... وهان علينا وصلها حين تقطع

وزعموا أن سعد بن زيد مناة بن تميم

كان تزوج رهم بنت الخزرج بن تيم الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وكانت من أجهل الناس، فولدت له مالك ابن سعد وعوفاً، وكان ضرائرها إذا سابنها يقلن: يا عفلاء فقالت لها أمها: سابنيك فابدئيهن بعفال فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها، فقالت: يا عفلاء، فقالت ضرتها رميني بدائها وانسلت فأرسلتها مثلاً. وبنو مالك بن سعد رهط العجاج، وكانوا يقال لهم بنو العفيل، فقال اللعين المنقري وهو يعرض بهم:

ما في الدوائر من رجلي من عقل ... عند الرهان وما أكوى من العفل

وزعموا أن عمرو بن جدير

بن سلمى بن جندل بن نمشل بن دارم بن مالك بن حنظلة

كانت عنده امرأة معجبة له جميلة، وكان ابن عمه يزيد بن المنذر ابن سلمى بن جندل بها معجبا، وان عمرا دخل ذات يوم بيته فرأى منه ومنها شيئا كرهه حتى خرج من البيت، فأعرض عنه، ثم طلق المرأة من الحياء منه، فمكث ابن جدير ما شاء الله لا يقدر يزيد بن المنذر على أن ينظر في وجهه من الحياء منه ولا يجالسه، ثم أن الحمي أغير عليه، وكان فيمن ركب عمرو بن جدير، فلما لحق بالخيال ابتدره فوارس قطعنوه وصرعوه ثم تنازلوا عليه، ورآه يزيد بن المنذر فحمل عليهم فصرع بعضهم، وأخذ فرسه واستنفذه، ثم قال له: اركب وانج فلما ركب قال له يزيد: تلك بتلك فهل جزيتك فذهبت مثلاً.

وزعموا أن عمرو بن الأحوص

بن جعفر بن كلاب

كان أحب الناس إلى أبيه، فغزا بني حنظلة في يوم ذي نجب، فقتله خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل ابن نمشل، فزعموا أن أباه الأحوص بن جعفر - وهو يومئذ سيد بني عامر - قال: إن أتاكم الحماران طفيل بن مالك وعوف بن الأحوص يتحدثان ثم مضيا إلى البيوت فقد ظفر أصحابكم، وان جاء يتسايران حتى إذا كانا عند أدنى البيوت تفرقا فقد فضح أصحابكم وهزموا، فاقبلا حتى إذا كانا عند أدنى البيوت تفرقا، فقال الأحوص: الفضيحة والله، ثم أرسل إليهما فأخبراه الخبر، فكان مما زعموا أن الأحوص إذا سمع باكية قال: وأهل عمرو قد أضلوه فأرسلها مثلاً؛ فيزعمون إن الأحوص مات من الوجد على عمرو ولم يلبث بعده إلا قليلاً، فقال لبيد بن ربيعة في ذلك وفي عروة بن عتبة وقد قتله البراض:

ولا الأحوصين في ليال تتابعا ... ولا صاحب البراض غير المعمر

وزعموا أن عبشمس بن سعد بن زيد مناة

وكان يلقب مقروعا

عشق الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم، فطرد عنها وقوتل، فجاء الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ليدفع عن عمه فضرب على رجله فقطعت وشلت، فسمي الأعرج، فسار إليه عبشمس بن سعد في بني سعد فأناخ إلى العنبر بن عمرو ابن تميم ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم وغيلان بن مالك بن عمرو بن تميم يسألونهم إن يعطوهم بحقهم من رجل الأعرج، فضرب بنو عمرو بن تميم عليهم قبة، فقال لهم عبشمس: إن يرح إليكم مازن مترجلاً وقد لبس ثيابه وتزين لكم فظنوا به شراً، وان جاءكم شعث الرأس خبيث النفس فاني أرجو أن يعطوكم بحقكم. فلما كان بالعشي وراح إليهم مازن مترجلاً قد لبس ثيابه وتزين لهم، فارتابوا به، فتحدث عندهم، فلما راح النعم دس عبشمس بعض أصحابه إلى الرعاء ليسمع ما يقولون، فسمع رجلاً من الرعاء يقول:

لا نعقل الرجل ولا نديها ... حتى نرى داهية تنسيها
أو يسف في أعينها سافيتها

وكان غيلان بن مالك قد قال هذين البيتين قبل ذلك، فقال عبشمس حين خبره رسوله بما سمع وحن عليهم الليل: برزوا رحالكم، وكانوا ناحية، ففعلوا وتركوا قبتهم، فنأدى مازن وأقبل إلى القبة: ألا حي بالقرى، فإذا الرجال قد جاؤوا عليهم السلاح حتى اكتفوا القبة، فإذا هي خالية وليس فيها أحد منهم، وهرب بنو سعد على ناحيتهم. ثم إن عبشمس جمع لبني عمرو وغذاهم، فلما كان بعقوتهم ليلاً نزل في ليلة ذات ظلمة ورعد وبرق، فأقام بمنزلة حتى يصبحهم صباحاً، فقام يحوطهم من الليل، وكانت بنت عمرو معجبة به، وكان معجباً بها، قد عرف ذلك منهما، وكانت عارفاً - وكانت العارك في ذلك الزمان تكون في بيت على حدة ولا تخالط أهلها - فأضاء لها البرق فرأت ساقى مقروع، فأنت إياها تحت الليل فقالت: إني لقيت ساقى عبشمس في البرق فعرفته، فأرسل العنبر إلى بني عمرو فجمعهم، فلما أتوه خبرهم الخبر فقال مازن: حنت ولا تمنت وأنى لك مقروع فأرسلها مثلاً، وقد كانوا يعرفون إعجاب كل واحد منهما لصاحبه. ثم قال مازن للعنبر: ما كنت حقيقاً أن تجمعنا لعشق جارية. ثم تفرقوا فقال لها العنبر: لا رأي لمكذوب فأرسلها مثلاً، فأخبريني واصدقيني، قالت: يا أبتاه تكلمت أمك إن لم أكن رأيت مقروعاً فانج ولا أظنك ناجياً فأرسلتها مثلاً، فجاء العنبر من تحت الليل وصبحتهم بنو سعد وقتلوا منهم ناساً فيهم غيلان بن مالك وهو الذي قال: لا نعقل الرجل ولا نديها، فجعلت بنو سعد تحنو في عينه التراب وهو قتيب ويقولون: تحلل غيل فذهب قولهم مثلاً.

يقول تحلل من يميناك، وغيل غيلان، فرخم. ثم إن عبشمس اتبع العنبر حتى أدركه وهو على فرسه وعليه اداته وهو يسوق ابله فقال له عبشمس: دع أهلك فان لنا وإن لك، فقال العنبر: لا ولكن من تقدم منعتة ومن تأخر عقرتة، فجعل إذا تأخر شيء عقره، فدنا منه عبشمس فلما رآته الهيجمانة نزعته حمارها وكشفت عن وجهها وقالت: يا عبشمس نشدتك الرحم لما وهبته لي، فقال: لقد خفتك على هذه منذ الليلة، فوهبه لها. وقال ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم لأبيه كعب بن عمرو في تلك الحرب، وكان ذؤيب صاحب راية عمرو في حروبها:

يا كعب إن أخاك منحلق فاشدد إزار أخيك يا كعب

أتجود بالدم ذي المضنة في ال ... جلى وتلوي الناب والسقب
تلوي: تتبع، الناب: المسنة من النوق، والسقب: ولد الناقه.

تنبو المناطق عن جنوبهم وأسنة الخطي لا تنبو
إني حلفت فلست كاذبه حلف الملبد شفه النحب
ينفك عندي الدهر ذو خصل نهد الجزارة منهب غرب
الجزارة: القوائم، ويقال فرس بحر وفرس سكب إذا كان كثير الجري.
يشند حين يريد فارسه ... شد الجداية غمها الكرب
الجداية: الظبية، وهي من الطباء مثل العناق من المعز.
الآن إذ أخذت مأخذها ... وتباعد الانساع والقرب
أي بعد أن وقعت العداوة يسعى في الصلح، أي ليس هذا من أوانة فحارب الآن ولا تبال.
أقبلت تعطي خطة غبناً وتركتها ومسدها راب
جانيك من يجني عليك و قد تعدى الصحاح فتجرب الجرب
والحرب قد تضطر جانبيها إلى المضيق ودونه الرحب

يروى غير ابن الأعرابي تعدي الصحاح مبارك الجرب، وأراد مباركاً فترك الألف لأن اللفظة لا تجرى.
وكان من أمر داحس وما قيل فيه من الأشعار والأمثال إن أمه كانت فرسا لقرواش بن عوف بن عاصم بن
عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، يقال لها جلوى، وأن أباه ذا العقال كان
لحوط بن أبي جابر بن أوس ابن حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك، وإنما سمي داحساً إن بني
يربوع احمولوا ذات يوم سائرين في نجعة، وكان ذو العقال مع ابنتي حوط ابن أبي جابر تجبانته، فمرت به
جلوى فرس قرواش، فلما رآها الفرس ودى - أي انعط - فضحك شباب من الحي رأوه، فاستحيت
الفتاتان فأرسلتاه، فنزا على جلوى، فوافق قبولها فأقصت ثم أخذه لهما بعض الحي فلاحق بهم حوط، وكان
رجلاً شريراً سيء الخلق، فلما نظر الى عين فرسه قال: والله لقد نزا فرسي فأخبراني ما شأنه، فأخبرته فقال:
والله لا أرضى أبداً حتى آخذ ماء فرسي، قال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهنا فرسك إنما كان منفلتاً، فلم
يزل الشر بينهم حتى عظم، فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: دونكم ماء فرسكم، فسطا عليها حوط فجعل
يده في تراب وماء ثم أدخلها في رحمها حتى ظن أنه أخرج الماء؛ واشتملت الرحم على ما فيها فنتجها
قرواش مهراً فسمي داحساً بذلك، وخرج كأنه ذو العقال أبوه، وهو الذي قال ابن الخطمي فيه:

إن الجياد بيتن حول فنائنا ... من آل أعوج او لذي العقال

فلما تحرك المهر شيئاً مر مع أمه وهو فلو يتبعها، وبنو ثعلبة منتجعون فرآه حوط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا
بني رياح ألم تفعلوا فيه ما فعلتم أو مرة ثم هذا الآن، فقالوا: هو فرسان ولن نترككم أو تدفعوه الينا فلما
رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذا لا نقاتلكم عليه، أنتم أعز علينا منه، هو فداؤكم، فدفعوه اليهم. فلما رأى

ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا إختوتنا مرتين وحلموا عنا وكرموا فأرسلوا به إليهم معه لقوحيان، فمكث عند قرواش ما شاء الله، وخرج من أجود خيول العرب.

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي اغار على بني يربوع، فلم يصب غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة لقرواش أصاب الحبي وهم خلوف لم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، فجلا في متن الفرس مرتدفيه وهو مقيد، فأعجلهما القوم عن حل قيده، واتبعهما القوم، فضبر بالغلامين ضبراً حتى نجوا به، ونادت إحدى الجاريتين أن مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس بمكان الفرس بمكان كذا وكذا، فسبقا إليه حتى اطلقا حيث يروونه فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس فقال: لكما حكمكما وادفعا إلي الفرس، قالوا: أو فاعل أنت هذا؟ قال: نعم، واستوثقا منه أن يرد ما أصاب من قليل أو كثير ثم يرجع عوده على بدئه ويطلق الفتاتين ويخلي عن الابل وينصرف عنهم راجعاً، ففعل ذلك قيس، ودفعا إليه الفرس. فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا: لا والله لا نصلحك أبداً، أصبنا مائة من الابل وامرأتين فعمدنا الى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا، فظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الابل. فلما جاء قرواش قال للغلامين: أين فرسي؟ فاخبراه الخبر فأبى إن يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه، فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه، فقضى بينهم أن ترد الفتاتان والابل إلى قيس بن زهير ويرد عليه الفرس، فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شر، وانصرف قيس معه داحس، فمكث ما شاء الله. فرعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس وبين حذيفة بن بدر أن قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينة لحذيفة بن بدر تغنيه بشعر امرىء القيس:

دار هـ والرباب وفرتنا ... وليس قبل حوادث الأيام

وهن فيما يذكر نسوة من بني عبس، فغضب قيس بن زهير فشتمها وشق رداءها، فغضب حذيفة، فبلغ ذلك قيساً فأتاه ليسترضيه، فوقف عليه فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب، وعنده أفراس له، فعابه قيس وقال: ما يرتبط مثلك مثل هذه يا ابا مسهر، فقال حذيفة: أتعييها؟ قال: نعم، فتجاريا حتى تراها. ويزعم بعضهم أن ما هاج الرهان أن رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم احد بني جوشن - وهم أهل بيت شؤم - أتى حذيفة زائراً فعرض عليه حذيفة خيله فقال: ما رأى فيها جواداً مبراً، قال حذيفة: ويلك فعند من الجواد المبر؟ قال: عند قيس بن زهير قال: هل لك أن تراهنني عنه؟ قال: نعم قد فعلت، فراهنه على ذكر من خيله وانثى، ثم إن العبدى أتى قيساً فقال: اني قد راهنت على فرسين من خيلك ذكر وانثى وأوجبت الرهان، فقال قيس: ما أبالي من راهنت غير حذيفة، قال: فاني راهنت حذيفة قال له قيس: إنك ما علمت لأنك، قال: فأتى قيس حذيفة قال: ما غدا بك؟ قال: غدوت لأضعك الرهان، قال: بل غدوت لتغلقه، قال: ما أردت ذلك، فأبى حذيفة إلا الرهان، قال قيس: أحيرك ثلاث خلال، إن بدأت فاخترت فلي خصلتان ولك الأولى، وان بدأت فاخترت فلي الأولى ولك خصلتان، قال حذيفة: فابدأ قال قيس: الغاية من مائة غلوة، قال حذيفة: المضمار أربعون ليلة - اي يضمرون الخيل - والمجرى من ذات الإصا، ففعلا ووضعوا السبق على يدي غلاق ابن غلاق أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. فرعموا أن حذيفة أجرى الخطار

فرسه والحنقاء، وزعم بعض بني فرارة انه أجرى قرزلاً والحنفاء، وأجرى قيس داحساً والغبراء. وزعم بعضهم انه هاج الرهان رجل من بني النعمن بن قطيعة

بن عبس يقال له سراقه راهن شباباً من بني بدر، وقيس غائب، على أربع جزائر من خمسين غلوة - الغلوة ما بين ثلاثمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع - فلما جاء قيس كره ذلك وقال: إنه لم ينته رهان قط إلا إلى شر. ثم أتى بني بدر فسألهم المواضعة فقالوا: لا حتى تعرف لنا سبقنا، فان أخذنا فحقنا وان تركنا فحقنا، فغضب قيس ومحك، وقال: أما إذ فعلتم فأعظمووا الخطر وأبعدوا الغاية، قالوا: فذاك لك، فجعل الغاية من واردات إلى ذات الإصا، وتلك مائة غلوة، والثنية فيما بينهما، وجعلوا القصبه في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويدي رجل من بني العشراء، من بني فرارة وهو ابن أخت لبني عبس، وملاوا البركة ماء، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها. ثم إن حذيفة وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلن منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه فلما أرسلت عارضها فقال حذيفة: خدعتك يا قيس، قال قيس: ترك الخداع من أجرى من مائة غلوة، فأرسلها مثلاً. ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تنزق خيل قيس فقال حذيفة: سبقت يا قيس، فقال قيس جري المذكيات غلاب، فأرسلها مثلاً. ثم ركضا ساعة فقال حذيفة: انك لا تركض مركضاً فأرسلها مثلاً، ثم قال سبقت خيلك يا قيس، فقال قيس: رويداً يعلون الجدد - الجدد: الأرض الغليظة، فأرسلها مثلاً، لأن الذكور في الوعوث أبقى وأصبر من الاناث، والاناث في الجدد أصبر وأسبق. وقد جعل بنو فرارة كميناً بالثنية فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه، وهو السابق، ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية، حتى مضت الخيل وأسهمت من الثنية، ثم أرسلوه فتمطر في آثارها فجعل يندرها فرساً فرساً حتى انتهى إلى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء، ولو تباعدت الغاية لسبقها، فاستقبلها بنو فرارة فلطموها ثم حلأوها عن البركة، ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين، وكان الذي لطمه عمير بن نضلة فجفت يده فسمي جاسئاً، فجاء قيس وحذيفة في أخرى الناس، وقد دفعتهم بنو فرارة عن سبقهم ولطموا فرسيهم، ولو تطيقهم بنو عبس لقاتلوهم، وانما كان من شهد ذلك من بني عبس ابياتا وقال قيس إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شراً من الظلم فأعطونا حقنا، فأبى بنو فرارة أن يعطوهم شيئاً، وكان الخطر عشرين من الابل، فقالت بنو عبس: فأعطوا بعض سبقنا، فأبوا، قالوا: فأعطونا جزوراً ونحمرها ونطعمها أهل الماء فانا نكره القالة في العرب، فقال رجل من بني فرارة: مائة جزور وجزرو واحد سواء، والله ما كنا لنقر لك في السبق ولم تسبق فقام رجل من بني مازن بن فرارة فقال: يا قوم إن قيساً قد كان كارهاً لأول هذا الرهان، وقد أحسن في آخره، وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى شر، فأعطوه جزوراً من نعمكم، فأبوا فقام رجل من بني فرارة إلى جزور من إبله فعقلها ليعطيها قيساً ويرضينة فقام ابنه فقال: انك لكثير الخطأ تريد أنة تخالف قومك وتلحق بهم ما ليس عليهم، فأطلق الغلام عقاها فلحقت بالنعم، فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل هو عنهم ومن كان معه من بني عبس، فأتى على ذلك ما شاء الله. ثم إن قيساً أغار فلقي عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فرارة وهموا بالقتال وغضبوا، فحمل الربيع بن زياد أخو بني عوذ بن غالب بن قطيعة ابن عبس دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية - أي تلاها أولادها - وأم عوف وأم

حذيفة واخوته الخمسة هي سودة بنت نضلة بن عمير بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فرارة، فاصطاح القوم فمكتنوا ما شاء الله، - ونضلة كان يسمى جابرا. ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة له يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب بن ظالم بن فرارة فابتنى باللقاطة قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة ففس له فرساناً على افراس من مسان خيلهم فقال: لا تنظروا إن وجدتم مالكا أن تقتلوه، وربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب

العبيسي مجاور حذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة بنت بدر، فانطلق القوم فالتقوا مالكا فقتلوه ثم انصرفوا عنه، فجاءوا عشية وقد اجهدوا أفراسهم، فوقفوا أفراسهم على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم؟ قالوا: نعم وعقرناه، قال الربيع: ما رأيت كاليوم قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار، قال حذيفة لما اكثر الربيع عليه من الائمة وهو يحسب أن الذي أصابوا حماراً: إنا لم نقتل حماراً، ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر قال الربيع: بس لعمر الله القليل قتلت، أما والله إني لأظنه سيبلغ ما تكره، فتراجعا شيئاً ثم تفرقا، فقام الربيع يبطاً الأرض وطأ شديداً، وأخذ حمل بن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير. فزعموا أن حذيفة لما قام الربيع أرسل أمة مولدة فقال: اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع، فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فانلست بين الكفاء والنضد، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه، فقبض معرفته ومسح متنيه حتى قبض بعكوة ذنبه، ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزه هزاً شديداً ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئاً، فطرح له شيئاً فاضطجع عليه، وكانت قد طهرت تلك الليلة فدنت منه: إليك، قد حدث أمر، ثم تعنى:

نام الخلي وما أغمض حار ... من سيء النبا الجليل الساري
من مثله تسمي النساء حواسراً ... وتقوم معولة مع الأسحار
من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نمار

معناه أنه إذا نظر إلى النساء وما يصنعن لمقتل مالك علم أن رهظه لا يقرون لذلك حتى يدركوا لتأرهم:

يجد النساء حواسراً يندبنهضرن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبان الوجوه تستراً فالآن حين بدون للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرىء سهل الخليقة طيب الأخبار

أبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهى إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عدوفاً يقدفن بالمهراث والأمهار

ومساعراً صداً الحديد عليهم فكأتما تطلى الوجوه بقار

يارب مسرور بمقتل مالكو لسوف يصرفه بشر محار

قال: فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة فقال: هذا حين استجمع أمر أخيكم، ووقعت الحرب. وقال الربيع

لحذيفة - وهو يومئذ جار له - سيرني فيني جاركم، فسيره ثلاث ليال ووجه معه قوماً وقال لهم: إن مع

الربيع فضلة من حمر فان وجدتموه قد هراقها فهو جاد، وقد مضى فانصرفوا، وإن لم تجدوه هراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى روضة فرتع وشرب فاقتلوه، ف تبعه القوم فوجدوه قد شق الزرق ومضى فانصرفوا. فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير بدرع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يرددها على قيس، فعرض قيس بن زهير لفاطمة بنت الخرشب الانمارية من بني أثمار بن بغيض - وهي أم الربيع بن زياد - وهي تسير في ظغائن من بني عبس، فاقتاد جملها يريد أن يرقننها بالدرع حتى ترد عليه، فقالت: ما رأيت كالיום قط فعل رجل، أين يضل حلمك؟ أترجو أن تصطحح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت بها يميناً وشمالاً فقال الناس في ذلك ما شاءوا أن يقولوا، وحسبك من شر سماعة، فأرسلتها مثلاً، فعرف قيس ما قالت له فخلى سبيلها وطرد ابلاً لبني زياد حتى قدم بها مكة فباعها من عند عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، فقال قيس في ذلك:

أم يبلغك والأبناء تنميما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها لدى القرشي تشرياً ذراع وأسيف حداد
كما لاقيت من حمل بن بدروأخوته على ذات الإصدا
هم فخرروا علي بغير فخروردوا دون غايته جوادي
وكتت إذا منيت بخصم سوءدقت له بداهية نأد
بداهية تدق الصلب منهفتقصم أو تجوب عن الفؤاد
وكتت إذا أتاني الدهر رقبداهية شلدت له نجادي
قال العدوي: ربق وربيق الداهية، وأم الربيق الداهية، والنجاد حمائل السيف.

أم يعلم بنو الميقاب أنيكريم غير معتلت الزناد
أي ليس بفساد الأصل. الوقب: الأحمق والميقاب مثله، وقالوا الميقاب: التي تلد الحمقى؛ ومعتلت لا خير فيه.

أطوف ما أطوف ثم آوياً إلى جار كجار أبي دواد
جار قيس بن زهير: ربيعة الخير بن قرط بن غيلان بن أبي بكر بن كلاب، ويقال جار أبي دواد الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان أبو دواد في جواره فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمسوا بني أبي دواد فمات، فخرج الحارث فقال: لا يبقى في الحي صبي إلا غرقته في الغدير، فودي ابن أبي دواد لذلك عدة ديات.

إليك ربيعة الخير بن قرطوهوباً للطريف وللتلاد
كفاني ما أحاف أبو هلالربيعة فانتتهت عني الأعادي
تظل جواده يجمزن حولبيذات الرمث كالحداً الغوادي
كأني إذ أنخت إلى ابن قرطعقلت إلى يمامة أو نضاد

ويروى: إلى يلملم أو نضاد وهما جبلان. وقال قيس بن زهير:

إن تك حرب فلم أجنهاجنتها صبارتم أو هم

صبارتم: خلفاؤهم.

حذار الردى إذ رأوا خيلنا ... مقدمها سابح أدهم

السابح: الكثير الجري.

عليه كمي وسر بلهمضاعفة نسجها محكم

وإن شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع فلا تسأموا

زجرت ربيعاً فلم ينزجر كما انزجر الحارث الأجدم

إذا نصب ربيع أراد الترخيم يا ربيعة، فلما حذف الهاء للترخيم ترك العين مفتوحة، ومن رفع ذهب به

مذهب الاسم التام المفرد وإن كان مرخماً، كهول ذي الرمة: فيامي ما يدريك ...

وكانت تلك الشحنة بين بني زياد وبين بني زهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فرعموا أن قيساً دس

غلاماً له مولداً فقال: انطلق كأنك تطلب إبلا فإنهم سيسألونك، فاذا ذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون

فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغنى بقوله:

أبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

فلما رجع العبد إلى قيس أخبره بما سمع من الربيع بن زياد، فعرف قيس أنه قد غضب له، فاجتمعت بنو

عبس على قتال بني فرارة، فأرسلوا إليهم أن ردوا إبنا التي ودنا بما عوف بن بدر أخوا حذيفة لأمه، قال:

لا أعطيه دية ابن أمي وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر وهو ابن الأسدية، فانتم وهو أعلم. ويزعم بعض

الناس أنهم كانوا ودوا عوف بن بدر مائة متلية - والمتالي التي في بطونها أولادها وقد تم حملها فانما يتنظر

نتاجها - وأنه أتى على تلك الأبل أربع سنين وقد توالتت، وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها فقال

له سنان بن أبي حارثة: اتريد أن تلحق بنا خزاية فتعطيهم أكثر مما أعطونا فتسبنا العرب بذلك؟ فأمسكها

حذيفة، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بأعيانها، فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا. ثم إن مالك بن بدر

خرج يطلب إبلاً له فمر على جنيد بن أخي بني رواحة فرماه بسهم فقتله يوم المعنقة فقالت ابنة مالك بن

بدر:

لله عينا من أرى مثل مال الكعقيرة قوم أن جرى فرسان

فليتهما لم يشربا قط شربة وليتهما لم يرسلأ لرهان

أحل به جنيد أمس نذره ... فأى قتيل كان في غطفان

إذا سجمت بالرقمتين حمامة أو الرس فابكي فارس الكتفان

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هدم بن لدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض

مشى في الصلح ورهن بني ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا، وجعلهم على يدي

سبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن بن ذبيان، فمات سبيع وهم على يديه فأخذهم حذيفة من بنيه فقتلهم. ثم

إن بني فزارة تجمعوا هم وبني ثعلبة وبني مرة فالتقوا هم وبني عبس بالخاترة فهزمتهم بنو عبس وقتلوا منهم

مالك بن سبيع بن عمرو الثعلبي - قتله الحكم بن مروان بن زنباع العبسي - وعبد العزى بد حذار الثعلبي
والحارث بن بدر الفزاري، وقتلوا هرم بن ضمضم المري - قتله ورد بن حابس العبسي - ولم يشهد ذلك
اليوم حذيفة بن بدر، فقالت نائحة هرم بن ضمضم - هو من بكر بن ضمضم - :

يا لهف نفسي لهفة المفجوعاً لأرى هرماً على مودوع
من أجل سيدنا ومصرع جنبهعلق الفؤاد بمخطل مصدوع

أي من أجله محترق فؤادها وكأنما أكل حنظلاً. ثم إن حذيفة جمع وقيماً واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض،
فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم، فقال قيس بن زهير: أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لا تكن على سيفي
حتى يخرج من ظهري، فقالوا: نطيعك، فأمرهم فسرخوا السوام والضعفاء بليل وهم يريدون إن يظعنوا من
منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا في الصبح فأصبحوا على ظهر دوابهم، وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم، فلما
أصبحوا طلعت الخيل عليهم من الثنايا، فقال: خذوا غير طريق المال فإنه لا حاجة للقوم إن يقعوا في
شوكتكم ولا يريدون بكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم، فأخذوا غير طريق المال. فلما أدرك حذيفة
الأثر ورآه قال: أبعدهم الله، وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم؟؟؟؟؟ فاتبع المال، وسارت ظعن بني عبس
والمقاتلة من ورائهم، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال، فلما أدركوه ردوا أوله على آخره، ولم يفلت منهم
شيء، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها، وتفرقوا واشتد الحر، فقال قيس بن زهير: يا
بني عبس إن القوم قد فرق بينهم المغنم، فاعطفوا الخيل في آثارهم، ففعلوا فلم يشعر بنو ذبيان إلا بالخيل
دواس - يعني متتابعة - فلم يقاتلهم كثير احد، وجعل بنو ذبيان إنما هممة الرجل منهم في غنيمته أن يجوزها
وينجو بها، فوضع بنو عبس السلاح فيهم حتى ناشدهم بنو زياد البقية، ولم يكن لهم هم غير حذيفة فأرسلوا
مجنبتين يقتفون أثره، وأرسلوا خيلاً مقدمة تنفض الناس وتسألهم حتى سقط على أثر حذيفة من الجانب
الأيسر أبو عنتره شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس وعمرو
بن الاسلع وقرواش بن هني والحارث بن زهير وجنيد بن زيد، وكان حذيفة استرخى حزام فرسه، فنزل
عنه فوضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره، ثم شد الحزام فوضع صدر قدمه على الأرض فعرفوه بحنف
فرسه فاتبعوه، ومضى حذيفة حتى استغاث بجفر الهباءة - الجفر: ما لم يطو من الآبار - وقد اشتد عليه الحر
فرمى بنفسه فيه، ومعه حمل بن بدر وحنش بن عمرو وورقاء ابن بلال وأخوه، وهما من بني عدي بن فزارة،
وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء فتمعكت دوابهم، وبعثوا ربيئة فجعل يطلع وينظر
فاذا لم ير شيئاً رجع فظفر نظرة فقال: اني قد رأيت شخصاً كالنعامة أو كالطير فوق القتادة من قبل مجيئنا،
فقال حذيفة هذا شداد على جروة، فحال بينهم وبين الخيل، ثم جاء عمرو بن الاسلع ثم جاء قرواش حتى
تناموا خمسة، فحمل جنيد على خيلهم فاطردها وحمل عمرو بت الاسلع وشداد عليهم في الجفر فقال
حذيفة: يا بني عبس فأين العقل واين الاحلام؟ فضرب حمل بين كتفيه وقال: اتق مأتور القول بعد اليوم
فأرسلها مثلاً، وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن زهير حملاً وأخذ منه ذا النون سيف
مالك بن زهير، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير:

تركت علي الهبأة غير فخر ... حذيفة حوله قصد العوالي
سيخبر قومه حنش بن عمرو ... اذا لاقاهم وابنا بلال
ويخبرهم مكان النون مني ... وما أعطيته عرق الخلال
من المخالة، اي ما اعطيته عن صداقة وصفاء ود. فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان
بن بغيض:

سيخبرك الحديث بكم خير ... يجاهدك العداوة غير آل
بداءتما لقراوش وعمرو ... وانت تجول جوبك في الشمال
أي فعل قراوش هذا الفعل. العرق: العطية، والخلال: المخالة، يقول: لم تعطوني السيف عن مودة ولكني
قتلته وأخذته، وقوله وأنت تجول جوبك في الشمال، الجوب: الترس، يريد إن قراوشاً وعمرو بن الأسلع
اقتحما الجفر وقتلا من قتلا وأنت ترسك في يدك لم تغن شيئاً، ويقال لك البداءة ولفلان العوادة. وقال
قيس بن زهير في ذلك:

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهبأة لا يريم
ولولا ظلمة ما زلت أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن القتي حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل علي قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني ... فمعوج علي ومستقيم
وقال في ذلك شداد بن معاوية العبسي:

من يك سائلاً عني فاني ... وجروة لا تباع ولا تعار
مقربة الشتاء ولا تراها ... أمام الحي يتبعها المهار
ويروى أمام الخيل، يريد أنها فرس حرب لا يطلب نسلها.
لها بالصيف آصرة وجل ... وست من كرائمها غزار
كرائم من الابل تشرب هذه الفرس البانها.
ألا أبلغ بني العشاء عني ... علانية وما يغني السرار
قتلت سراتكم وحسنت منكم ... حسيلاً مثل ما حسل الوبار
الحسيل: الرديء، يقول: أنفيت شرارك، وقتلت خياركم وأبقيت رذالك.
ولم اقلكم سراً ولكن ... علانية وقد سطع الغبار
وكان ذلك اليوم يوم ذي حسي - وحسي واد فيه ماء.

ويزعم بعض بني فرارة إن حذيفة كان أصاب فيما أصاب من بني عيس تماضر بنت الشريد السلمية ام قيس
بن زهير فقتلها، وكانت في المال. ثم إن بني عيس ظعنوا فحلوا إلى كلب بعراعر، وقد اجتمع عليهم بنو
ذبيان فخالفوا، فقاتلتهم كلب فهزمتهم بنو عيس وقتلوا مسعود بن مصاد الكلبي ثم أحد بني عليم بن

جناب، فقال في ذلك عنتره:

ألا هل أتاها أن يوم عراعر ... شففى سقماً لو كانت النفس تشنفي
أتونا على عمياء ما جمعوا لنا ... بأرعن لا خل ولا متكشف
تماروا بنا إذا يمدرون حياضهم ... على ظهر مقضي من الأمر محصف
علالتنا في كل يوم كرهية ... بأسيفنا والقرح لم يتقرف
وما نذروا حتى غشينا يوتهم ... بغية موت مسبل الودق مدعف
اي تشككوا في رجوليتنا حتى استعملوا الحياض، علالتنا: اي بقيتنا. فأجلتهم الحرب فلحقوا بهجر فامتاروا
منها، ثم حلوا على بني سعد بالفروق وقد آمنهم بنو سعد ثلاث ليال فأقلموها، ثم شخصوا عنهم، فاتبعهم
ناس من بني سعد فقاتلهم العبيسون فامتنعوا حتى رجع بنو سعد وقد خابوا منهم ولم يظفروا بشيء، فقال في
ذلك عنتره بن شداد بن معاوية:

ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا
القصيدة كلها. ثم سئل قيس بن زهير: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفسل ولم
نقل فنضعف. ثم سار بنو عبس حتى وقعوا باليمامة، فقال قيس بن زهير: إن بني حنيفة قوم لهم عز وحصون
فخالقوهم، فخرج قيس حتى أتى قتادة بن مسلمة الحنفي وهو يومئذ سيدهم، فعرض عليهم قيس نفسه
وقومه، فقال: ما يرد مثلكم، ولكن لي في قومي أمراء لا بد من مشاورتهم، وما ننكر حسبك ولا نكايتك؛
فلما خرج قيس من عنده قيل له: ما تصنع، أتعمد إلى أفك العرب وأحزمهم فتدخله أرضك ليعلم وجوه
أرضك وعورة قومك ومن أين يؤتون؟! فقال: كيف أصنع وقد وعدت له على نفسي، وانا استحي من
رجوعي؟ فقال له السمين الحنفي: انا أكفيك قيسا، وهو رجل حازم متوثق لا يقبل إلا الوثيقة، فلما أصبح
قيس غدا عليه، ولقيه السمين فقال: انك على خير وليست عليك عجلة، فلما رأى ذلك قي ومر على
جمجمة بالية فضر بها برجله ثم قال: رب خسف قد أقرت به هذه الجمجمة مخافة مثل هذا اليوم، وما أراها
وآلت منه وان مثلاي لا يرضى إلا القوي من الأمر، فلما لم ير ما يجب احتمال فلحق ببني عامر بن صعصعة،
فتزل هو وقومه على بني شكل، وهم بنو اختهم، وبنو شكل هم من بني الحريش ابن كعب بن ربيعة بن
عامر بن صعصعة، وكانت أمهم عسبية، فجاوروهم، فكانوا يرون عليهم أثرة وسوء جوار وأشياء ترييهم،
ويستخفون بهم، فقال نابغة بني ذبيان:

لحا الله عبساً عبس آل بغيض ... كلحي الكلاب العاويات وقد فعل

فأصبحتم والله يفعل ذاكميعزكم مولى مواليكم شكل

إذا شاء منهم ناشيء دربخت لهلطفة طي البطن رابية الكفل

دربخت المرأة: أي جبت له وخضعت وقامت على أربع حتى يأتيها. فمكتوا مع بني عامر، يتجنون عليهم
ويرون منهم ما يكرهون، حتى غزتهم بنو أسد ومن تبعهم من بني حنظلة يوم جبلة، فأصابوا يومئذ زبان بن
بدر فكانوا معهم ما شاء الله. ثم إن رجلاً من الضباب أسرته بنو عبد الله بن غطفان والضبابي هو اخو

الخبص فدفعه الذي أسره إلى رجل من أهل تيماء يهودي، فآتمه اليهودي بامرأته فخصاه، فقال الخبص الضبابي لقيس بن زهير: أد إلينا ديتة، فإن مواليك بني عبد الله بن غطفان أصابوا صاحبنا، وهم حلفاء بني عبس، فقال: ما كنا لنفعل، فقال: والله لو أصابه مر الريح لوديتموه، فقال قيس بن زهير في ذلك:

لحا الله قوما أورشوا الحرب بيننا ... سقونا بها مرأً من الشرب آجنا

وحرمة الناهيهم عن قتالنا وما دهره ألا يكون مطاعنا

أكلف ذا الخصيين إن كان ظالماً ... وإن كان مظلوماً وإن كان شاطنا

خصاه امرؤ من أهل تيماء طابولا يعدم الإنسى والجن طابنا

فهلا بني ذبيان وسط بيوقم هنت بمر الريح إن كنت راهنا

وخالستهم حقي خلال بيوقموان كنت ألقى من رجال ضغائنا

إذا قلت قد أقلت من شر حنصلقت بأخرى حنصاً متباطناً

فقد جعلت أكبادنا تجنويهم ... كما يجنوي سوق العضاه الكرازنا

العضاة: كل شجر له شوك، والكرازن: المعاول، الواحد كرزين.

تدرونا بالمنكرات كأنما ... تدرون ولدانا ترمي الرهادنا

تدرونا: تحتلوننا، والرهادن: جمع رهدن وهو شبيه بالعصفور. فقال النابغة الذبياني جواباً لقيس:

ابك بكاء النساء إنك لنتهبط أرضاً تحبها أبدا

نحن وهبناك للحريش وقد جاوزت في الحي جعفرأ عددا

وأغار قرواش بن هني العبسي - وبنو عبس يومئذ في بني عامر - على بني فزارة، فأخذه أحد بني العشراء

- الأخرم بن سيار أو قطبة بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة -

أخذه تحت الليل، فقالوا له: من أنت؟ فقال: رجل من بني البكاء، فعرفت كلامه فتاة من بني مازن، وكانت

ناكحاً في بني عبس، فقالت: أبا شريح أما والله لنعم مأوى الأضياف وفارس الخيل أنت، فقالوا له: ومن

أنت؟ قال: قرواش بن هني، فدفعوه إلى بني بدر فقتلوه، وكان قتل حذيفة، ويزعم بعض الناس أنهم دفعوه

إلى بني سبيع فقتلوه بمالك بن سبيع، وكان قتل مالك بن سبيع الحكم بن مروان بن زبناغ فقال نميكة ابن

الحارث من بني مازن بن فزارة:

صبراً بغيض بن ريث إنما رحمتعتموها أناختكم بجمعجاج

فما أشطت سمي أن هم قتلوا بني أسيد بقتلى آل زبناغ

لقد جرتكم بنو ذبيان ضاحية بما فعلتم ككيل الصاع بالصاع

قتلاً بقتل وتعقيراً بعقر كممهلاً حميض فلا يسعى بها الساعي

وقال في ذلك عنتره:

هديكم خير أباً من أيبكم أعف وأوفى بالجوار وأحمد

وأحمي لدى الهيجا إذا الخيل صدها ... غداة الصياح السمهري المقصد

فهلا وفي الفوغاء عمرو بن جابر بدمته وابن اللقيطة عصيد

سيأتيكم مني وإن كنت نائياً دخان العلندی حول بيتي مذود
قصائد من بز امرىء يجتديكموانتم بجسم فارتدوا وتقلدوا
أي يطلب منكم الثأر. وقال قيس بن زهير:
مالي أرى إيلي تحن كأنها نوح تجاوب موهنأ أعشارا
نوح: نساء ينحن، والأعشار: جمع عشر وهو إن يرد الماء في اليوم التاسع، وهذا مثل، والموهن: بعد صدر
من الليل.

لن تمبطي أبداً جنوب مويسلو قنا قراقرتين فالأمرارا
أجهلت من قوم هرقت دماؤهمبيدي ولم أدهم بجنب تعارا
إن الهوادة لا هوادة بيننا إلا التجاهد فاجهدن فزارا
إلا التزاور فوق كل مقلصيهدي الجياد إذا الخميس أغارا
فلا هبطن الخيل حر بلاد كملحق الأياطل تنبذ الأمهारा
حتى ترور بلادكم وتروا بهامنكم ملاحم تخشع الأبصارا
وقال قيس بن زهير في مالك بن زهير بن بدر:

أخي والله خير من أخيكما إذا ما لم يجد بطل مقاما
أخي والله خير من أخيكما إذا ما لم يجد راع مساما
أخي والله خير من أخيكما إذا الخفرت أبدین الخداما
قتلت به أخاك وخير سعدفان حربا حذيف وإن سلاما
ترد الحرب ثعلبة بن سعدبمحمد الله يرعون البهاما
وكيف تقول صبر بني حجانا إذا غرضوا ولم يجدوا مقاما

وتغني مرة الأثرين عناعروج الشاء تتركهم قياما
ولولا آل مرة قد رأيتمنواصيهن ينضون القتاما
وقال نابغة بني ذبيان:

أبلغ بني ذبيان أن لا أخالهمبعيس إذا حلوا الدماخ فأظلما
بجمع كلون الأعبل الجون لونه ... ترى في نواحيه زهيراً وحذيما
هم يردون الموت عند لقائها إذا كان ورد الموت لا بد أكرما

ثم إن بني عبس ارتحلوا عن بني عامر، فساروا يريدون بني تغلب، فأرسلوا إليهم أن أرسلوا إلينا وفداً
فأرسلت إليهم بنو تغلب بستة عشر ركباً منهم ابن الخمس التغلبي قاتل الحارث بن ظالم، وفرح بهم بنو
تغلب وأعجبهم ذلك. فلما أتى الوفد بني عبس قال قيس: انتسبوا نعرفكم، فانتسبوا، حتى مر بابن
الخمس، فقال قيس: أن زماناً أمنتنا فيه لزمان سوء، قال ابن الخمس: وما أخاف منك، فوالله لأنت اذل
من قراد بمنسم ناقتي فقتله قيس، وإنما يقتله بالحارث بن ظالم، لأن الحارث كان قتل بزهير بن جذيمة خالد

بن جعفر بن كلاب، فلما رأى ذلك قيس قال: يا بني عبس ارجعوا إلى قومكم فهم خير أناس لكم فصالحوهم، فأما أنا فلا أجاور بيتاً غطفانياً أبداً، فلحق بعمان فهلك بها. ورجع الربيع وبنو عبس، فقال الربيع بن زياد في ذلك:

حرق قيس علي البلاد حتى إذا استعرت أجذما
أجذم: ذهب، ويقال أنه لجذام الركض إذا أسرع.

جنية حرب جناها فماتفرج عنه وما أسلما

عشية يردف آل الربايعة بالركض أن يلجما

في نسخة غداة بآل الرباب، والرباب امرأة يعشقها قيس بن زهير.

ونحن فوارس يوم الهريز إذ تسلم الشفتان الفما

عطفنا وراءك أفراسنا وقد مال سرجك فاستقدما

إذا نفرت من بياض السيوف قلنا لها أقدمي مقدما

ولما انصرف الربيع - وكان يسمى الكامل - أتى بني ذبيان ومعه ناس من بني عبس، فأتى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، فوقفوا عليه فقالوا له: هل أحسست لنا الحارث بن عوف - وهو يعالج نجياً له - فقال: هو في أهله، ثم رجعوا وقد لبس ثيابه، فقالوا: ما رأينا كاليوم قط مركوباً إليه قال: ومن أنتم، قالوا: بنو عبس ركبنا الموت، قال: بل أنتم ركبنا السلم والحياة، مرحباً بكم، لا تنزلوا حتى لا تأتوا حصن بن حذيفة، قالوا: أنأتي غلاماً حديث السن قد قبلنا أباه وأعمامه ولم نره قط؟! قال الحارث: نعم إن الفتى حلیم وأنه لا صلح حتى يرضى، فأتوه عند طعامه ولم يكن رأيهم، فلما رأيهم عرفهم، قال: هؤلاء بنو عبس، فلما أتوه حيوه فقال: من أنتم قالوا: ركبنا الموت، فحياهم وقال: بل أنتم ركبنا السلم والحياة، إن تكونوا احتجتم إلى قومكم فقد احتاج قومكم إليكم، هل أتيتم سيدنا الحارث بن عوف، قالوا: لم ناته، وكنتموه اتياهم إياه، فقال: فأتوه، فقالوا: ما نحن ببارحيك حتى تنطلق معنا، فخرج يضرب أوراك أباعرهم قبله حتى أتوه، فلما أتوه حلف عليه حصن: هل أتوك قبلي، قال: نعم، قال: فقم بين عشيرتك فإني معينك بما أحببت، قال الحارث: أفأدعو معي خارجة بن سنان؟ قال نعم، فلما اجتمعنا فلا حصن: تجبرنا من خصلتين: من الغدر بهم والخذلان لنا؟ قال: نعم، فقاما بينهما فباءوا بين القتلى، وأخرجنا لبني ثعلبة بن سعد الف ناقة أعانها فيها حصن بخمسائة ناقة. وزعموا أنه لما اصطاح الناس، وكان حصين بن ضمضم المري قد حلف لا يمس غسلاً حتى يقتل بأخيه هرم بن ضمضم الذي قتله ورد بن حابس العبسي، فأقبل رجل من بني عبس يقال له ربيعة بن وهب الحارث بن عدي بن بجاد، وأمه امرأة من بني فرارة، يريد أخواله، فلقي حصين بن ضمضم فقتله بأخيه، فقال حيان بن حصن أحد بني مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عبس:

سالم الله من تبرأ من غي ... ظ وولى أثمها يربوعا

قتلونا بعد المواثيق بالس ... م تراهن في الدماء كروعا

إن تعيدوا حرب القليب علينا ... تجدوا أمرنا أحد جميعا

فلما بلغ فرارة قتل حصين بن ضمضم ربيعة بن وهب غضبوا، وغضب حصن في قتل ابن اختهم، وفيما

كان من عقد حصن لبني عبس، وغضبت بنو عبس فأرسل اليهم الحارث بابنه فقال: اللبن أحب إليكم أم انفسكم - يعني ابنه - يقول: إن شتتم فاقتلوه وان شتتم فالدية، قالوا: بل اللبن، فأرسل اليهم بمائة من الابل دية ربيعة بن وهب فقبلوا الدية وتموا على الصلح، فقال في ذلك شيبم بن خويلد الفزاري:

حلت أمامة بطن التين فالرقما ... واحتل أهلك أرضاً تنبت الرتما
من ذات شك إلى الأعراج من إضم ... وما تذكره من عاشق أهما
هم بعيد وشأو غير مؤتلف ... إلا بمزودة لا تشتكي السأما
أنضيتها من ضحاها أو عشيتها ... في مستتب يشق اليد والاكما
سمعت أصوات كلدي الفراح به ... مثل الأعاجم تغشي المهرق القلما
يا قومنا لا نعرونا بمظلمة ... يا قومنا واذكروا الآلاء والذما
في جاركم وابنكم إذ كان مقتله ... شعاء شيت الأصداغ والدمما
عي المسود بما والسائدون ... ولم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما
كنا بما بعدما طيخت عروضهم ... كالهبرقية ينفي ليظها الدما
أي ينقطر منها الدم، طيخت: دنست، والطيخ الفساد، والهبرقية السيوف والهبرقي: الحداد، أراد كالسيوف
التي تشن الدم، والليط: اللون، ليط الإنسان: جلده ولونه.
إني وحصناً كذي الأنف المقول له ... ما منك أنفك إن أعضضته الجلما
أي لا أستغني أنا عن حصن كما لا يستغني عن الأنف.
أإن أجار عليكم لا أبا لكم ... حصن تقطر آفاق السماء دما
أدوا ذمامة حصن أو خذوا بيد ... حرباً تحش الوقود الجزل والضرما
الضرم: صغار الحطب، أي أعطوا الرضى بدية او غيرها او اتذنوا بحرب. وقال في ذلك عبد قيس بن بجرة
أخو بني شمع بن فرارة، وهو ابن عنقاء، يعتذر عن حصين بن ضمضم المري:
إن تأت عبس وتنصرها عشيرتها ... فليس جار ابن يربوع بمخذول
كلا الفريقين أغنى قتل صاحبه ... هذا القتيل يميت أمس مطلول
باءت عرار بكحل والرفاق معاً ... فلا تمنوا أمانى الأضاليل
وعرار: مثل حذام وقطام، أي اتفقوا واصطلحوا، وعرار وكحل، ثور وبقرة كانا في سبطين من بني
اسرائيل، فقعر كحل فقعرت به عرار، فوقع الشر بينهم حتى كادوا أن يتفانوا - فضربت العرب بهما مثلاً.
وقال زهير بن أبي سلمى يذكر الحارث بن عوف وخارجة بن سنان وحملهما ما حملا من دماء بني عبس وبني
ذبيان:

لعمرى لعنم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل وميرم
إلى آخر القصيدة.

وزعموا أن بني مرة وبني فزارة

لما اصطلحوا وباءوا بين القتلى أقبلوا يسرون حتى نزلوا على ماء يقال له قلهى، وعليه بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فقالت بنو مرة وبنو فزارة لبني ثعلبة: اعرضوا عن بني عبس فقد باءونا بعض القتلى ببعض، فقالت بنو ثعلبة: كيف تباؤون بعبد العزى بن حذار ومالك بن سبيع؟ أتمدرونهما وهما سيذا قيس؟ فوالله لا نسلم هذا بأنوفنا، فمعهوهم الماء حتى كادوا يموتون عطشاً. فلما رأوا ذلك أعطوهم الدية، ويزعمون إنها كانت أول الحمالة. فقال في ذلك معقل بن عوف بن سبيع الثعلبي:

لنعم الحى ثعلبة بن سعد ... إذا ما القوم عضهم الحديد
هم ردوا القبائل من بغيضٍ ... بغيظهم وقد حمى الوقود
تطل دماؤهم والفضل فينا ... على قلهى ونحكم ما نريد
وقال الربيع بن زياد في حرب داحس:

إن تك حربكم أمست عواناً ... فإني لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها ... وحشوا نارها لمن اصطلاها
فإني لست خاذلكم ولكن ... سأشفي الآن إذ بلغت إناها
ولد سودة: حذيفة وإخوته الخمسة، أمهم سودة بنت نضلة بن عمير بن جرية. وقال عنتر بن شداد بن معاوية:

سائل عميرة حين اجلب جمعها ... عند الحروب باي حي تلحق
أبجي قيس ام بعذرة بعدما ... رفع اللواء لها وبئس الخلق
وأسأل حذيفة حين أرش بيننا ... حرباً ذوأبها بموت تخفق
فلتعلمن اذا التقت فرساننا ... بلوى النجيرة أن ظنك أحقق
فهذا ما كان من حديث داحس. وبلغنا إن الحرب التي كانت فيه أربعون سنة، وصار داحس مثلاً ويقال:
أشأم من داحس.

وقال بشير بن أبي العباس:

إن الرباط النكد من آل داحسٍ ... جرين فلم يفلحن يوم رهان

فسببن بعد الله مقتل مالكٍ ... وغربن قيساً من وراء عمان

ويمنع منك السبق إن كنت سابقاً ... وتلطم إن زلت بك القدمان

لظمن على ذات الإصدا وجمعهم يرون الأذى من ذلة وهوان تم حديث داحس والحمد لله رب العالمين.
و كان من حديث بيهس أنه كان رجلاً من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان من سابع سبعة إخوة، فأغار عليهم ناس من أشجع وبينهم حرب، وهم في إبلهم، فقتلوا ستةً وبقي بيهس، وكان يحمق، وكان أصغرهم، فأرادوا قتله ثم قالوا: ما تريدون من قتل هذا يحسب عليكم برجل ولا خير فيه، فتركوه فقال: دعوني أتوصل معكم إلى أهلي فانكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش، ففعلوا فاقبل معهم، فلما كان في الغد نزلوا فنحروا جزوراً في يوم شديد الحر فقالوا: اظلوا لحم جزورك لا

يفسد، فقال بيهس: لكن بالآتلات لحمًا لا يظلل فقالوا: إنه لمنكر وهموا إن يقتلوه، ثم تركوه ففارقهم حتى انشعب له طريق أهله فأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت: ما جاءني بك من بين إخوتك؟ فقال لو خيرك القوم لاخترت، فأرسلها مثلاً. ثم إن أمه عطفت عليه ورقت فقال الناس: احبت ام بيهس بيهساً ورقت له، فقال بيهس: ثكل أرامها ولداً فأرسلها مثلاً. ثم جعلت تعطيه ثياب إخوته ومتاعهم يلبسها فقال يا حبذا التراث الذلة، فأرسلها مثلاً. وقال حبيب بن عيسى لما اراد بيهس أن يمضي عنهم قال بضهم: كيف يأتي هذا الشقي أهله بغير خضير؟ فقال لهم بيهس: دعوني فكفى بالليل خفيراً فأرسلها مثلاً. ثم أتى على ذلك ما شاء الله، ثم إنه مر على نسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به راسه، فقلن: ويحك اي شيء تصنع؟ فقال:

البس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها
فأرسلها مثلاً، فلما أتى على ذلك ما شاء الله جعل يتتبع قتلة إخوته فيقتلهم ويتقصاهم حتى قتل منهم ناساً
فقال بيهس:

يا لها من مهجة يا لها ... أني لها الطعم والسلامه
قد قتل القوم إخوانها ... في كل واد زقاء هامه
لأطرقنهم وهم نيام ... فأبركن بركة النعمامه
قابض رجل وباسط أخرى ... والسيف أقدمه امامه

نعامة: هو بيهس، لقب بنعامه لقوله: فأبركن بركة النعامه. ثم أخبر أن ناساً من أشجع في غار يشربون فيه، فانطلق بحال له يكنى أبا حشر فقال له: هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منهن؟ قال: نعم، فانطلق بيهس باي حشر حتى إذا قام على باب الغار دفع خاله في الغار فقال: ضرباً أبا حشر، فقال بعضهم: إن أبا حشر لبطل، فقال أبو حشر: مكره أخوك لا بطل فأرسلها مثلاً، فكان بيهس مثلاً في العرب، قال المتلمس:
ومن حذر الأيام ما حزانفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه ... تيين في أثوابه كيف يلبس
وأول هذه الأبيات:

وما الناس إلا ما رأوا وتحذثوا ... وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا
فلا تقبلن ضيماً مخافة ميتة ... وموتن بما حراً وجلدك أملس
ومن حذر الأيام ... الخ.

وقال بعض الشعراء من بني تغلب وهو أبو اللحم:
لقمان منتصراً وقس ناطقاً ولأنت أجراء صولةً من بيهس
يريد بما الأسد ههنا وهذا البيت غلط من المفضل لان بيهساً هو الأسد وليس بيهس الذي يلقب بنعامه،
ويدلك على ذلك البيت الذي بعده وهو لأبي اللحم التغلبي يمدح عباد بن عمرو بن كلثوم: يقص السباع
كأن فحلاً فوقه ضخم مذمره شديد الافحس كان قس بن ساعدة من إياد مفوها ناطقاً فوقف بسوق عكاظ
على جهل له أحر فقال: أيها الناس اجتمعوا ثم اسمعوا وعوا، كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل

ما هو آت آت، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لمعتبراً، نجوم تمور، وبحار لا تبور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، ما للناس يذهبون ثم لا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا، يحلف بالله قس بن ساعدة إن الله لدينا أحب إليه مما نحن فيه.
زعموا أن رجلاً من بني عمرو بن سعد

بن زيد مناة بن تميم يقال له عياض ابن ديهث

أورد إبله على ماء، فصادف عليه رعاء الحارث بن ظالم المري - مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان - فأدلى عياض بن ديهث دلوه ليسقي ماشيته، فقصر رشأوه واستعار بعض أرشية رعاء الحارث بن ظالم فأعاروه حتى سقى إبله، ثم أصدرها، فلقية بعض حشم النعمان فأخذ أهله وماله، فنأدى يا حار يا حاراه، فركب الحارث حتى أتى النعمان، وقد كان لقي عياضاً قبل ذلك، فقال له: ويلك ومتى أجرتك؟ قال: فاني عقدت رشائي برشاء رعائك فسقيت إبلي، وأخذت ذلك الماء في بطونهما، فقال له الحارث: إن في هذا لجواراً ثم أتى النعمان فقال: أبيت اللعن، إنك أخذت إبل جاري وأهله وولده، فقال النعمان: أفلا تشدما وهي من أديمك أول - يعني قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر وهو جار للأسود بن المنذر بن ماء السماء أخي النعمان. ثن إن النعمان أوعد الحارث وعيداً شديداً فقال له الحارث: هل تعدون الحيلة الى نفسي، فأرسلها مثلاً، أي هل تريد بحيلتك أن تقتلني، هذا غايتك، يريد هل يكون شيء بعد الموت. ثم انصرف تدبر النعمان كلمته فندم على تركه، ثم طلبه فلم يجده. وكانت سلمى بنت ظالم أخت الحارث تحت سنان بن أبي حارثة بن نشبة بن غيظ بن مرة، وكان النعمان قد دفع الى سنان ابن أبي حارثة ابناً له يكون عنده، فجاء الحارث إلى أخنه فقال: إن سناناً يقول لك: زيني ابن النعمان حتى آتي به أباه لعله يصنع إلينا خيراً، ففعلت، فانطلق به الحارث فضرب عنقه، ثم هرب فلحق بمكة، وكان رد على ابن ديهث بعض ما أخذ منه، فقال الحارث بن ظالم:
ققا فاسمعا اخبركما إذ سألتما ... محارب مولاه وثكلان نادم
مولاه: ابن عمه، أي إنا نحارب ابن عمي سنان بن أبي حارثة الذي كان عنده ابن النعمان.
فأقسم لولا من تعرض دونه ... لخالطه ما في الحديد صارم
حسبت أبا قابوس أنك فائز ... ولما تذق وأنفك راغم
فان تك أذواد أصبن ونسوة ... فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... ولا يركب المكروه لولا الاكارم
فتكت به كما فتكت بخالدٍ ... وكان سلاحي تجنويه الجماجم
أخصي حمار ظل يكدم نجمةً ... أيؤكل جيرانى وجارك سالم
بدأت بينك وانثيت بهذه ... وثالثة تبيض منها المقادم
وقال الفرزدق يذكر ذلك:

كما كان أوفى اذ ينادي ابن ديهث ... وصرمته كالمغنم المنتهب

فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم ... وكان متى ما يسلسل السيف يضرب
وما كان جاراً غير دلوّ تعلقت ... بجلبه في مستحصد العقد مكرب
مكرب: مشدود، وعقد الحبل على عراقي الدلو يقال له الكرب، ويقال للرجل اكرب دلوك. وقال
الفرزدق:

أعوذ ببشر والمعلّى كلاهما ... بني مالك أوفى جواراً وأكرم
من الحارث المنجي عياض بن ديهث ... فرد أبو ليلى له وهو أظلم
وما كان جاراً غير دلو تعلقت ... بعقد رشاء عقده لا يجنم
فرد أخوا عمرو بن مسعود ذوده ... جميعاً وهن المغنم المتقسم
فأتى على ذلك ما شاء الله. ثم أن الحارث قدم الحيرة فأخذ فأتى به النعمان فأمر به ابن الخمس التغلبي
فضرب عنقه. زعموا أن الرجلين من أهل هجر أخوين ركب أحدهما ناقّة صعبة، وكانت العرب تحمق أهل
هجر، وان الناقّة ندت، ومع الذي لم يركب منهما قوس ونبل، واسمه هنين، فناداه الراكب منهما: يا هنين
أنزلي عنها ولو بأحد المغروين - يعني سهمه - فرماه أخوه فصرعه فمات فذهب قوله: ولو بأحد المغروين
مثلاً.

زعموا أن رجلاً شاباً غزلاً

خرج يطلب حمارين لأهله

فمر على امرأة متنقبة جميلة في النقب، فقعد بجذائها وترك طلب الحمامين، وشغله ما سمع من حسن حديثها
وما رأى من جمالها في النقب، فلما سفرت عن وجهها إذا لها أسنان مكفهرة منكرة مختلفة، فلما رآها ذكر
حماريه فقال: ذكرني فوك حماري أهلي فذهب قوله مثلاً.
زعموا أن رجلاً في الجاهلية

كانت له فرس مربية معلمة قد تألفه وعرفته

فبعثه قومه طليعة فمر بروضة فأعجبت، وهو لا يدري أن العدو قريب منه، فنزل فخلع لجام فرسه وخلي
عنها ترعى، فبينما هو على ذلك إذ طلعت عليه خيل العدو دواس - أي يتبع بعضهم بعضاً - فأخذوه،
وطلبوا الفرس فسبقتهم، فلم يقدرُوا عليها، فتعجبوا منها ومن جودتها فقالوا: إن دفعتها إلينا فأنت آمن
وإلا قتلناك، فظن الرجل أنهم قاتلوه إن لم يفد نفسه، فدعاها فجاءت فقال: عرفني نسأها الله أي آخرها
وزاد في أجلها، فصار مثلاً.

وزعموا أن قوماً كانوا في جزيرة

من جزائر البحر في الدهر الأول

ودونها خليج من البحر، فأتاها قوم يريدون أن يعبروها فلم يجدوا معبراً، فجعلوا ينفخون أسقيتهم ثم يعبرون عليها، فعمد رجل منهم فأقل النفخ وأضعف الربط، فلما توسط الماء جعلت الريح تخرج حتى لم يبق في السقاء شيء، وغشية الموت فنادى رجلاً من أصحابه أن يا فلان إني قد هلكت. فقال: ما ذنب يداك أو كنا وفوك نفخ فذهب قوله مثلاً. أو كيت رأس السقاء إذا شددته وقال بعض الشعراء:

دعائك حذر البحر أنت نفخته ... بفيك وأوكته يداك لتسبحا

زعموا أن شيخاً كانت تحته امرأة شابة

فكانت تراه إذا أراد أن ينتعل قعد فانتعل، وكانت ترى الشبان ينتعلون قياماً؛ فقالت يا حبذا المنتعلون قياماً فسمع ذلك منها فذهب ينتعل قائماً فصرط وهي تسمع فقالت: إذا رمت الباطل أنجح بك أي غلبك، فأرسلتها مثلاً.

زعموا أن الحارث بن أبي شمر الغساني

سأل أنس ابن الحجيرة عن بعض الأمر فأخبره به فلطمه فقال: ذل لو أجد ناصرًا ثم قال: الطموه، فقال أنس: لو نهي عن الأولى لم يعد للآخرة، فأرسلها مثلاً فقال زيدوه فقال أنس أيها الملك ملكت فأسجح فأرسلها مثلاً. فأمر أن يكف عنه.

زعموا أن قوماً شردت إبل بني صحار

بن وهب بن قيس بن طريف

وهو اخو الطماح بن عمرو بن قعين، حتى وقعت في بلاد بني عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، فركب الجميح - وهو منقذ ابن الطماح بن قيس - في طلب الابل حتى وقع في بلاد بني مرة، قال: فانتهدت إلى بيت عظيم فأنتخت إليه ووضعت رحلي عنده في عشية متغيمه، فإذا في البيت الذي انخت بفنائه رجل شاب مضاجع ربة البيت، قد غلبته عينه فنام، فحسبته رب هذا البيت، فلم ألبث إلا قليلاً حتى راح الشاء فحسبت في العطن، ثم راحت الابل وفيها أفراس ومعها رعاؤها، فحسبت في العطن، ثم طلع رجل على فرس يصهل فارتاحت له الخيل، وارتاحت العبيد لذلك، وجاء حتى وقف عليهم فقال: ماذا كم السواد بفناء البيت؟ قالوا: ضيف، فلما رأيت ذلك عرفت أنه رب البيت، وان الفتى ليس منها في شيء، فدخلت البيت فاحتملت الفتى حتى أبرزته من وراء البيت، فاستيقظ بي فقال: أما أنت فقد أنعمت علي فمن أنت؟ فقلت: أنا منقذ بن الطماح، قال: أو في الابل جنت؟ قلت: نعم، فقال: أدركت، امكث ليلتك هذه عند صاحب رحلك، فإذا أصبحت فأت ذاك العلم الذي ترى فقف عليه ثم ناديا صباحاه فإذا اجتمع إليك الناس فإني سأتيك على فرس ذنوب بين بردين، فأعرض لك الفرس مرتين حتى تتب عليه، فإذا فعلت ذلك فتب خلفي ثم ناد يا حار يا حار المخاض، فإنك إذا فعلت ذلك أدركت قال وإذا هو الحارث بن الظالم فلما أصبحت فعلت الذي أمرني به، فناديت يا صباحاه، فأتاني الناس حتى

جاءني آخر من جاء، فعرض لي فرسه فوثبت عليه فإذا أنا خلفه، قهلت يا حار يا حار المخاض، فأجرتني وحولت رحلي إليه، فمكثت عنده أياماً لا يصنع شيئاً، ثم قال: سبني يغضب لحمي فقلت: لا أسبك أبداً، قال: فقل قولاً يعذرني به قومي، قال: فمكث حتى إذا أوردوا النعم جعلت أسقي وأرتجر فقلت - وكانت في الابل الذي ذهب ناقة يقال لها اللفاع:

إني سمعت حنة اللفاعفي النعم المقسم الأوزاع
ناقصلي الله عليه وسلم ما وليدة جياعاً ما إذا أجذبت المراعي
فإنها تحلب في الجاعاً ما إذا أخصبت المراعي
فإنها هي من النقاغفادعي أبا ليلى ولا تراعي
ذلك راعيك فنعم الراعي لا يكن قام عليه ناعي
لا تؤكلي العام ولا تضاعيمتطقاً بصارم قطاع
يفري به مجامع الصداغ فلما سمع بذلك الحارث - وكان يكنى أبا ليلى - أقبل يسعى مخترباً سيفه فقال:
هل يخرج ذودك ضرب تشذيب ... ونسب في الحي غير مأشوب

هذا أواني وأوان المعلوم ثم نادى الحارث: من كان عنده من هذه الابل شيء فلا يصدرن بشيء من ذمتنا حتى يردها، قال: فردت جميعاً مكانها غير الناقة التي يقال لها اللفاع، فانطلق وانطلقت معه نطوف عليها، فوجدناها مع رجلين يحلبانها فقال لهما الحارث: خليا عنها فليست لكما، فصرط البائن منهما - البائن الذي يقف من جانب الحلوبة الأيمن، ويقال للحالبين البائن والمستعلي، والمستعلي الذي من جانب الناقة الأيسر - فقال المستعلي: والله ما هي لكما، فقال الحارث: است البائن اعلم فأرسلها مثلاً ورد الابل على الجميع فانصرف بها.

كانت امرأة من طيء يقال لها رقاش كانت تغزو بهم ويقيمون برأيها، وكانت كاهنة، وكان لها حزم ورأي، فأغارت بطيء، وهي عليهم على اياد بن نزار بن معد يوم رحى حائر فظفرت بهم وغنمت وسبت، فكان فيما أصابت من إياد فتى شاب جميل، فاتخذته خادماً فرأت عورته فأعجبها فدعته إلى نفسها فوقع عليها فحملت فأتيته في إبان الغزو لتغزو بهم، فقالوا لها: هذا أوان الغزو فاغزي إن كنت تريدين الغزو، فجعلت تقول: رويد الغزو يتمزق فأرسلتها مثلاً. ثم جاءوا لعادتهم فأروها نفساء مرضعا قد ولدت غلاماً، فقال بعض شعراء طيء.

نبئت أن رقاش بعد شماسها ... حبلت وقد ولدت غلاماً أكحلا
فالله يخطيها ويرفع ذكرها ... والله يلحقها كشافاً مقبلا
كانت رقاش تقود جيشاً جحفلا ... فصبت وحق لمن صبا أن يجبلا
دري رقاش فقد أصبت غنيمَةً ... فحلاً يصورك أن تقودي جحفلا

زعموا أن المنذر بن امرئ القيس

وهو جد النعمان بن المنذر، وكانت أمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط - قال للحارث بن العيف بن عبد القيس، والمنذر يومئذ محارب للحارث بن جبلة الغساني ملك الشام: اهج الحارث بن جبلة، فقال له الحارث بن العيف:

لا هم أن الحارث بن جبلة ... زنا على أبيه ثم قتله
وركب الشادخة المحجلة ... وكان في جاراته لا عهد له
فأي فعلٍ سيءٍ لا فعله وقال لحرملة بن عسلة أخي بني بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة: اهج الحارث، وكانت أم حرملة امرأة من غسان فقال لحرملة بن عسلة:

ألم ترأني بلغت المشيبا ... لدى دار قومي عفاً كسوبا
وأن الاله تنصفته ... بأن لا أعق وأن لا أحوبا
أي عبدته، والناصف: الخادم، قال الشاعر:
وتلقى حصان تنصف ابنة عمها ... كما كان يلقي الناصفات الخوادم

وأن لا أكافر ذا نعمة ... وإلا أخيبه مستثيبا
وغسان قوم هم والدي ... فهل ينسينهم أن أغيبا
فأوزع بما بعض من يعتريك ... فان لها من معد كليبا
يقال: كلب وكليب مثل معز ومعيز، والإيزاع: الإغراء.

وأن لحالك مندوحة ... وإن عليك بغيب رقيباً
فلما كان حين سار المنذر بن ماء السماء إلى الحارث بن جبلة فالتقوا بعين أباغ، فقتل المنذر بن ماء السماء وهزم جيشه، وكان فيهم أخلاط من العرب من ربيعة ومضر وغيرهم، فكان ابن عسلة في الجمع يومئذ مع المنذر فأسره، فأحسن إليه الحارث بن جبلة وحمله وكساه وخلى سبيله، وكان في جيش المنذر يومئذ رجل من بني حنيفة، يقال له عمرو بن شمر بن عمرو، إنما خرج متوصلاً بجيش المنذر يريد أن يلحق بأحواله من غسان، وكانت أمه منهم، فرأى مصرع المنذر فأتاه فأخذ برداً كان عليه، ثم أتى الحارث فأخبره أنه قتله وهذا برده، وكان ابن العيف العبدي في الأسراء، فقال له الحارث بن جبلة حين رآه: أتتلك بجائن رجلاه فأرسلها مثلاً. ثم قال له: إنه بلغني ما قلت، فاختر مني إحدى ثلاث خلال: إما أن اطرحك في جب فيه الأسد قد ضري وجوع فتمكث معه ليلة، أو ارمي بك من رأس طمار - يعني جبل دمشق، فان نجوت نجون وإن هلكت هلكت، أو يضربك الدلامس - سيفه الذي يقوم على رأسه، وهو أعظم الرجال وأشدهم - بعمود له من حديد ضربة فان نجوت وإن هلكت هلكت، فظفر في أمره فكره الأسد، وكره أن يلقي من رأس الجبل، واختار أن يضربه الدلامس تلك الضربة، فضربه على منكبه فدق منكبه ووركه، ثم أمر به فألقى، فاحتسب عليه راهب فداواه حتى برئ وهو مخبل.

كان امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر رجلاً مفركاً لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر معه، فتزوج امرأة من طيء فابتنى بها، فأبغضته من تحت ليلته فكرهت مكانه، فجعلت تقول: يا خير الفتيان أصبحت

أصبحت، فيرفع رأسه فيرى الليل كما هو، فيقول: أصبح ليل فلما أصبح قال لها: قد رأيت ما صنعت الليلة، وقد عرفت أن ما صنعت ذلك من كراهية مكاني في نفسك، فما الذي كرهت مني؟ قالت: ما كرهك، فلم يزل بها حتى قالت: كرهت منك أنك خفيف العجزة، ثقيل الصدر، سريع الارقاء، بطيء الافاق، فلما سمع ذلك منها قال لها هو: إنك لحديدة الركبة، سلسلة النقبة، سريعة الوثبة، وطلقها، وذهب قوله: أصبح ليل مثلاً.

كان الناس يتبايعون على طلوع الشمس وغروب القمر من صبح ثلاث عشرة ليلة تخلو من الشهر: أتطلع بعد غروب القمر أم قبله، فتتابع رجالان على ذلك، فقال أحدهما: تطلع قبل غروب القمر، وقال آخر: يغيب القمر قبل طلوع الشمس، فكأن قوم اللذين تبايعا ضلعا مع الذي قال إن القمر يغرب قبل طلوع الشمس، فقال الآخر: يا قوم إنكم تبغون علي، فقال له قائل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر، فذهب مثلاً.

زعموا أن امرأة بغيا كانت تؤاجر نفسها

فاستأجرها رجل بدرهمين، فلما جامعها أعجبها جماعه، فجعلت تقول: صكا ودرهماك لك، لا أفلح من أعجلك فذهب قولها مثلاً.

خرج رجل من طيء يقال له جابر بن رألان ثم أحد بنى ثعل بن سنيس، ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يوم يركب فيه في السنة لا يلقي فيه أحداً إلا قتله، فلقي في ذلك اليوم ابن رألان وصاحبيه، فأخذتهم الخيل بالثوية، فأتى بهم المنذر - الثوية: موضع بالحيرة - وقال المنذر: اقرعوا فأيكم قرع خليت عنه وقتلت الباقيين، فافترعوا فقرعهم جابر، فحلى سبيله وقتل صاحبيه، فلما رأهما ابن رألان يقادان ليقتلا قال: من عز بز فأرسلها مثلاً؛ وقال جابر في ذلك:

يا صاح حي الراني المتربيا ... واقرأ عليه تحية أن يذها

يا صاح ألم إنما إنسية ... تبدي بناناً كالسيور مخضبا

ولقد لقيت على الثوية آمناً ... يسق الخميس بها وسيقاً احدا

كرهاً أقارع صاحبي ومن يفز ... منا يكن لأخيه بدءاً مرهبا

لله دري يوم أترك طائعاً ... أحداً لأبعد منهما أو أقربا

أحداً: أي أحد الأخوين، يلوم نفسه على تركه إياهما.

فعرفت جدي يوم ذلك إذ بدا ... أخذ الجدود مشرقين وغربا

كر الفنون عليك دهرأ قلباً ... كر الثقال يقوده أن يذها

ولقد أرانا مالكين لرأسه ... نزعا خزيمة أنفه أن يشعبا

زعموا أن امرأة كان لها صديق وهو لزوجها عدو

وكانت معجبة، قال لها: لا اشتفي أبداً حتى أجامعك وزوجك يراني، فاحتالي لي، وكان لزوجها بهم، فكان يرهاها بفناء بيته، فاصططعت له سرباً إلى جنبها ثم جعلت له غطاءً، وكان رب البيت يرعى حول بيته، فلما تبرز من البيت وتباعد عنه وثب عليها صديقها، فرآه زوجها فأقبل مسرعاً قد ذهب عقله، فلما رآه صديقها مقبلاً دخل السرب، وجاء الرجل وقال للمرأة: ما هذا الذي رأيت معك؟ قالت: ما رأيت من شيء وهذا البيت فانظر فيه، فنظر فلم ير شيئاً، فعاد إلى غنمه، وعاد صديقها إليها، فلما رآه زوجها أقبل، وعاد صديقها إلى سربه، فلما جاء قال: ما هذا؟ قالت: وهل ترى من بأس؟ فنظر وانصرف إلى مكانه، فعاد صديقها إليها، حتى فعل ذلك مراراً يقبل الزوج فلا يرى شيئاً ثم يعود صديقها إليها إذا ذهب وزوجها، فلما أكثر قال زوج المرأة: قد نراك فلست بشيء فأرسلها مثلاً.

وأما هذا المثل: أعن صبح ترقق فان العرب يدعون شراب الليل الغبوق، وشراب النهار الصبوح، فزعموا أن رجلاً نزل بيت من العرب ليس لهم مال، فأثروه على أنفسهم فغبقوه غبوقاً قليلاً فبات بهم ليستوجب أن يصبحوه، فقال: أين اغدوا إذا صبحتموني - أي أنه لا بد من ان يصبحوه فقالوا: أعن صبح ترقق، فذهب قوههم مثلاً. الصبح: شراب النهار، والغبوق: شراب الليل.

زعموا أن سليحاً من قضاة غسان احتربوا

فظهرت عليهم سليح، وكانت غسان تؤدي اليهم دينارين على كل رجل منهم، وكان سبطة بن المنذر السليحي هو يجبي الدينارين منهم لسليح، فأتى رجلاً منهم يقال له جذع بن عمرو، وعليه ديناران، فقال: اعطني الدينارين، فقال: اعجل لك أحدهما لك أحدهما وأخر علي الآخر حتى أوسر، فقال سبطة: ما كنت لأؤخر عليك شيئاً، فدخل جذع بيته وقال: اقعد حتى أعطيك حقل، فاشتمل جذع على السيف ثم خرج إلى سبطة فضربه حتى سكت ثم قال: خذ من جذع كما أعطك فأرسلها مثلاً، وامتنعت منهم غسان بعد ذلك اليوم.

زعموا أن رجلاً من جهينة رمى رجلاً من القارة وهم بنو الهون بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر - فقتله فرمى رجل من القارة رجلاً من جهينة، وكان القارة فيما يذكرون أرمى حي في العرب، فقال قائلهم: قد انصف القارة من رامها فأرسلها مثلاً.

زعموا أن امرأ القيس بن حجر الكندي

كان مفركاً لا يكاد يحظى عند امرأة تزوج امرأة ثيباً فجعلت لا تقبل عليه ولا تريحه من نفسها شيئاً مما يجب، فقال لها ذات يوم: أين أنا من زوجك الذي كان قبل؟ فقالت: مرعى ولا كالسعدان فأرسلتها مثلاً. زعموا أن امرأ القيس لما بلغه أن بني أسد قتلوا حجراً وكان ذلك اليوم يشرب فقال: اليوم خمر وغداً أمر فأرسلها مثلاً.

زعموا أن همام بن مرة

بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

وكانت أمه لبنى بنت الحزمر بن كاهل، وكانت من بني أسد ابن خزيمية - أغار على بني أسد، قالت له امرأة منهم: أبخالئك يا همام تفعل هذا؟ قال: كل ذات صدار خالة لى فأرسلها مثلاً.

زعموا أن كعب بن مالك

بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة تزوج رقاش بنت عمرو بن عثم بن تغلب بن

وائل

وكانت من اجمل نساء وأكملهن خلقاً، فقال لها: اخلي درعك فقالت: خلع الدرع بيد الزوج ثم قال: اخلي درعك لأنظر اليك فقالت: ان التجريد لغير نكاح مثله، فطلقها فتحملت إلى أهلها، فمرت بذهل بن شيبان بن ثعلبة فأتاها فسلم عليها وخطبها إلى نفسها فقالت لخدمها: انظري إليه اذا بال أيعثر أم يقعر، فنظرت إليه الأمة فقالت: يقعر فزوجته، وعنده امرأة من بني يشكر يقال لها الورثة بنت ثعلبة، وكانت لا تترك له امرأة الا ضربتها وأجلتها فخرجت رقاش وعليها خلخالان، فقالت الورثة: بخ بخ ساق بخلخال، فقالت رقاش: اجل، ساق بخلخال، من نحلة خال، ليس كخالك البخال، فوثبت عليها الورثة لتضربها، فصبطتها رقاش وغلبتها، حتى حجزها عنها الرجال، فقالت الورثة:

يا ويح نفسي اليوم أدركني الكبر ... أبكي على نفسي العشية أم أذر
فو الله لو ادركت في بقية ... للآقيت ما لاقي صواحبك الأخر
فولدت رقاش لذهل بن شيبان مرة وأبا ربيعة ومحملاً والحارث.

زعموا أن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة

كانت الأكلة أصابت رجله، فأمر بقطعها من الركبة، فدعا بنيه ليقطعوها، فكلهم أبي ان يقطعها، فدعا نقيذا - وهو همام بن مرة - وكان من أجبنهم في نفسه فقال: اقطعها يا بني، فجعل يهم به، فقال أبوه: إذا هممت فافعل، فسمي هماماً، فقطعها همام، فلما رآها قد بانت قال: لو كنت منا حدوناك فأرسلها مثلاً.
أما قول الناس: أعز من كليب بن وائل؛ فان كليب بن ربيعة بن الحارث ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عثم بن تغلب بن وائل كان سيد ربيعة في زمانه، فكان الناس إذا حضروا المياه لم يسق أحد منهم إلا من سقاه، وإن بدا فأصابهم مطر لم يتحوض إنسان منهم حوضاً إلا ما فضل عن كليب، وكان يقول: ابني قد أجرت صيد كذا وكذا فلا يصاد منها شيء قال معبد بن سعة الضبي - كذا رواه المفضل، وهو الأسود ابن سعة أخو معبد: كفعل كليب كنت أخبرت أنه يخطط أكلاء المياه ويمنع يجير على أفناء بكر بن وائل أرانب ضاح والظباء فترتع فقيل أعز من كليب بن وائل، فذهبت عزته مثلاً.
وكان لكليب أخ يقال له امرؤ القيس بن ربيعة - وهو مهلهل - وعدي بن ربيعة

وكانت إبل كليب لا يسقى معها إبل حين ترد الماء حتى تصدر، وكان جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، أمه الهالة من بني عمرو بن سعد ابن زيد مناة بن تميم، وكانت أمها غوية فجاورت امرأة من غني مع جساس بن مرة للخوولة، فوردت ناقة للغنوية مع إبل كليب وهي عطشى فشرعت في الحوض، فرآها فانكرها فقال: ما هذه الناقة؟ قالوا: ناقة لجساس بن مرة من غني، فرماها بسهم فأصاب ضرعها، فندت إلى بيت الغنوية، فرأها تسيل دماً، فأنت جساساً فصرخت إليه، قال: من فعل هذا بناقتك؟ قالت؟ كليب، فخرج هو وعمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان إلى كليب، فطعنه طعنة أثقلتته، وزعموا أن عمرو بن الحارث أجهز عليه فقال كليب حين غشيه الموت لجساس: اغني بشربة فقال: تجاوزت شبيثاً والأحص فأرسلها مثلاً - شبيث والأحص ماءان له.

زعموا أن اسم ناقة الغنوية البسوس

فصارت مثلاً وقال الناس: أشأم من ناقة البسوس كذا قال المفضل، وإنما اسم الغنوية البسوس، واسم ناقتها سراب.

ثم ان جساس بن مرة ركب فرسه فركض ليؤذن أصحابه، فمر على مهلهل وهو وهمام بن مرة يضربان بالقدح، وكانا متصافين متوافقين لا يكتم واحد منهما صاحبه شيئاً أبداً، فلما رآه همام قال: هذا جساس وقد جاء لسوءة والله ما رأيت فخذة خارجة قبل اليوم، فلما دنا من همام أخبره الخبر ثم مضى، وعاد همام إلى مهلهل وقد تغير لونه، قال: ما شأنك قد تغير لونك، ما أخبرك هذا؟ قال: لا شيء فذكره العهد والميثاق، قال: اخبرني أنه قتل كليياً قال له مهلهل: استه أضيق من ذاك فأرسلها مثلاً.

ووقعت الحرب وتمايز الحيان بكر وتغلب، فزعموا أن الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وكان رجلاً حليماً شجاعاً لما رأى ما وقع من الشر قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل فأرسلها مثلاً واعتزل فلم يدخل في شيء من أمرهم.

ثم ان بني تغلب قالوا: لا تعجلوا على إختكم حتى تعذروا فيما بينكم وبينهم، فانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل بن شيبان فعظموها ما بينهم وبينه وقالوا: اختر منا خصالاً: إما أن تدفع إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا، فلم يظلم من قتل قاتله، وإما أن تدفع إلينا هماماً، أو تقيدنا من نفسك، فسكت وقد حضرته وجوه بكر بن وائل فقالوا: انك غير مخذول قال: أما جساس فانه غلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لي به، وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ولو دفعته إليكم صيح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجزيرة غيره فهل لكم إلى غير ذلك؟ هؤلاء بني فدونكم أحدهم فاقبلوه وأما أنا فما أتعجل من الموت، وهل تريد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل، ولكن هل لكم إلى غير ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: لكم ألف ناقة يضمنها لكم بكر بن وائل فغضبوا وقالوا: لم نأتك لترذل لنا - أي تعطينا رذال بينك - ولا تسومنا اللبن.

ثم تفرقوا فوقع الحرب بينهم، فاعتزل الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.

ثم ان بني تغلب لهوا بجير بن الحارث بن عباد وهو غلام في إبله فأتوا به مهلهلاً، وكان رئيس بني تغلب بعد

كليب، وكان كليب يضعفه ويقول: انما أنت زير نساء، فلما أتى ببجير قال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا بجير بن الحارث بن عباد، وقد عرفت أن أبي قد كره أمر هذه الحرب واعتزل الدخول فيها، قال: من أمك؟ قال، فلانة بنت فلان، فأمر به مهلهل فضربت عنقه وقال: بؤبشسع نعل كليب، فبلغ الحارث بن عباد الخبر فقال: نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل وهدأت الحرب بينهم فيه، هو فداؤهم، فقتل له: ان مهلهلاً حين قتله قال: بؤبشسع نعل كليب قال: وقد قال ذلك؟ قالوا نعم، قال: سوف يعلم، ثم قال الحارث بن عباد:

قربا مربط النعامه مني ... لقمحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناهما علم الله ... وإني بجرها اليوم صال
لا بجير أغنى قتيلاً ولا ره ... ط كليب تراجروا عن ضلال

وقد كان رجل من بني تغلب يقال له امرؤ القيس بن أبان قال لمهلهل، حين أراد يقتل بجيراً: لا تقتل هذا الفتى فان أباه اعتزل هذا الأمر ولم يدخل فيه، فلما أبى مهلهل إلا قتله قال ذلك التغلبي: والله ليقتلن بهذا الفتى رجل لا يسأل عن امه، يعني بشرفها هي أعرف من ذلك، فالتقى الحيان بكر وتغلب، وأبو بجير فيمن شهد القتال يومئذ، فرأى فارساً من أشد الناس فحمل عليه فأخذه أبو بجير فقال: ويحك دلني على أحد ابني ربيعة مهلهل أو عدي قال: فما لي إن دلتك على أحدهما؟ قال: أحلي عنك؟ قال: فالله لي عليك بذلك؟ قال: نعم فلما استوثق منه قال: فاني عدي بن ربيعة، قال أبو بجير: فأحليني على امرئ شريف كريم الدم، قال: فأحاله على عمرو بن أبان بن كعب بن زهير، فحمل عليه أبو بجير فقتله، فقال أبو بجير في ذلك:

لهف نفسي على عدي وقد أش ... عب للموت واحتوته اليدان
طل من طل في الحروب ولم أو ... تر بجيراً أباته ابن آبان
فارس يضرب الكتبية بالسبي ... ف وتسمو أمامه العينان
ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله أن يأتي.

ثم أغار كثيف بن زهير التغلبي على بكر بن وائل فهزموه، فلحق به مالك وعمرو ابنا الصامت من بني عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، فلما رآهما كثيف - وكان رجلاً شديداً الخلق - ألقى سيفه فتقلده مالك بن الصامت، وهو ابن كومة، فهاب مالك كثيفاً أن يتقدم عليه فيأسره، فأدركهم عمرو بن الزبان بن مجالد الذهلي، فوثب على كثيف فأسره، فقال مالك ابن كومة: أسيري، وقال عمرو بن الزبان: أسيري، فحكما كثيفاً في ذلك فقال: لولا مالك ألفت في أهلي ولولا عمرو لم أوسر، فغضب عمرو فلطم وجه كثيف، فلما رأى ذلك مالك - وكان حليماً تركه في يدي عمرو وكره أن يقع في شر، فانطلق عمرو بكثيف إلى أهله فكان أسيراً عنده حتى اشترى نفسه، وقال كثيف: اللهم أن لم تصب بني زبان بقارعة قبل الحول لا أصلي لك صلاة أبداً.

فمكثوا غير كثير، ثم إن بني الزبان خرجوا، وهم سبعة نفر فيما يزعمون، في طلب ابل لهم، ومعهم رجل من غفيلة بن قاسط يقال له خوتعة، فلما وقعوا قريباً من بني تغلب انطلق خوتعة حتى أتى كثيف بن زهير فقال له: هل لك إلى بني الزبان بمكان كذا وكذا، وقد نحروا جزوراً وهم في إيلهم، قال: نعم، فجمع لهم

ثم أتاهم، فقال له عمرو بن الزبان: يا كثيف إن في وجهي وفاءً من وجهك، فخذ لظمتك مني أو من إخوتي إن شئت، ولا تنشئن الحرب وقد أطفأها الله، ذلك فداؤنا، فأبى كثيف، فضرب أعناقهم وجعل رؤوسهم في الجوالق فعلقه في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم، وهي ناقة عمرو بن الزبان، ثم خلاها في الإبل، فراححت حتى أتت بيت الزبان بن مجالد، فقال لما رأى الجوالق: أظن بني أصابوا بيض نعام، ثم أهوى بيده في الجوالق فأخرج رأساً، فلما رآه قال: آخر البز على القلوص فذهبت مثلاً، وقال الناس: أشأم من خوتعة فذهبت مثلاً - أي هم آخر المتاع، أي هذا آخر آثارهم؛ وقال الناس: أثقل من حمل الدهيم فذهبت مثلاً. قال: ثم إن الزبان دعا في بكر بن وائل فخذلوه فقال في ذلك:

بلغا مالك بن كومة ألا ... يأتي الليل دونه والنهار
كل شيء خلا دماء بني ذه ... ل من الحرب ما بقيت جبار
أنسيتم قتلى كثيف وأنتم ... ببلادٍ بما تكون العشار
وكان اشد بكر بن وائل له خذلاًنا بنو لجيم، فقال الزبان في ذلك:
من مبلغ عني الأفاكل مالكاً ... وبني القدار فأين حلقي الأقدم
أبني لجيم من يرجى بعدكم ... والحى قد حربوا وقد سفك الدم
أبني لجيم لو جهن عليكم ... جمع الكعاب لقد غضبنا نرعم

الجمح: التابع بعض في اثر بعض، يريد الكعبين اللذين يلعب بهما النرد وغيره. فجعل الزبان لله عليه نذراً ألا يحرم دم غفيلي أبداً أو يدلوه كما دلوا عليه، فمكث فيما يزعمون عشر سنين، فبينما هو جالس بفناء بيته إذ هو براكب قال له: من أنت قال: رجل من غفيلة قال: إيت فقد أدنى لك، فأرسلها مثلاً، قال الغفيلي: هل لك في أربعين بيتاً من بني زهير متبدين بالأقطنتين؟ قال: نعم، فنأدى في أولاد ثعلبة فاجتمعوا، ثم سار بهم حتى إذا كان قريباً من القوم بعث مالك ابن كومة طليعةً ينظر القوم وما حالهم، قال مالك: فمتم وأنا على فرسي فما شعرت حتى عبت فرسي في مقراة بين البيوت، فكبحتها فتأخرت على عقبها، فسمعت جارية تقول لأبيها: يا أبت أتمشي الحيل على أعقابها؟ قال: وما ذاك يا بنية؟ قالت: لقد رأيت فرساً تمشي على عقبها، قال: يا بنية نامي، أبغض الفتاة تكون كلوء العين بالليل - ورجع مالك إلى الزبان فآخبره الخبر، فأغار عليهم فقتل منهم فيما يذكر نيفاً على أربعين رجلاً، منهم أبو محياة بن زهير بن تميم، وأصاب فيهم جيراناً لهم من بني يشكر ثم من بني غبر بن غنم، فقال في ذلك مرقش أخو بني قيس بن ثعلبة: أتاني لسان بني عامر فجلت أحاديثهم عن بصر بان بني الوخم ساروا معاً بجيش كضوء نجوم السحر فلم يشعر القوم حتى رأوا بريق القوانس فوق الغرر ففرقتهم ثم جمعهم واصلرتهم قبل غب الصلر فيارب شلو تخطر فنه كريم لدى مزحف أو مكر أي أخذته باقتدار في سرعة، والشلو بقية البدن، وقد جعلوه البدن. وآخر شاص ترى جلده كقشر القتادة غب المطر فكائن بحمران من مزحف ومن خاضع خده منعفر المزحف: المدرأ عن فرسه، الشاصي: الرافع رجله.

فكان الزبان قذف جيفهم في الاقطنتين، وهي ركية، فقال السفاح التغلبي: أبني أبي سعد وأنتم إخوة

وعتاب بعد اليوم شيء اقم هلا خشيتهم أن يصادف مثلها منكم فيتركم كمن لا يعلم ملأوا من الاقطنتين ركية منا وآبوا سالمين وغموا وقال الزبان يعتذر إلى بني غبر اليشكريين فيمن أصيب منهم: ألا بلغ بني غبر بن غنم ولما يأت دونكم حبيب فلم تقتلكم بدم ولكن رماح الحرب تخطيء أو تصيب ولو أمي علقت بحيث كانوا لبل ثيابها علق صيب قال: وكان السفاح قد قال في شأن بني الزبان لعمر بن لآي التيمي: ألا من مبلغ عمرو بن لآي فان بيان غلمتهم لدينا فلم تقتلهم بدم ولكن للؤمهم وهونهم علينا واني لن يفارقني نباك يرى النعداء والتقريب دينا وقال عمرو بن لآي: قفا ضيع تعالج خرج راع أجرنا في العقاب أم أهتدينا

زعموا أن الهذيل بن هبيرة

أخا بني ثعلبة بن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل، كان أغار على أناس من ضبة فغنم ثم انصرف، فخاف الطلب فأسرع السير، فقال له أصحابه: اقسام بيننا غنيمتنا، فقال: إني أخاف أن تشغلكم القسمة فيدرككم الطلب فيهلكوا، فأعادوا عليه ذلك مراراً فلما رآهم لا يفعلون قال: إذا عز أخوك فهن فأرسلها مثلاً، وتابعهم على القسمة.

زعموا أن ليث بن عمرو

بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني

تزوج ابنة عمه حماعة بنت عوف بن محلم بن أبي عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم، فشام الغيث فتحمل بأهله لينتجعه، فقال أخوه مالك بن عمرو: لا تفعل فاني أخاف عليك بعض مقانب العرب أن يصيبك، فقال: والله ما أخاف أحداً، واني لطالب الغيث حيث كان، فسار بأهله، فلك يلبث إلا يسيراً حتى جاء وقد أخذ أهله وماله، فقال له مالك: مالك؟ فقال: أصابني خيل مرت علي؛ قال مالك: رب عجلة تمب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا ورب غيث لم يكن غيثا، فذهب كلامه هذا أمثالاً.

زعموا أن كعب بن مامة الايادي

خرج في ركب من إياد بن نزار و ربيعة بن نزار حتى إذا كانوا بالدهناء في حمارة القيط عطشوا ومعهم شيء من ماء قليل إنما يشربونه بالحصى فيقتسمونه، فشرّب كل إنسان منهم بقدر تلك الحصاة، فشرّب القوم حصتهم، فلما اخذ كعب الاناء ليشرب نظر إليه شمر بن مالك النمري، فلما رآه كعب ينظر إليه ظن أنه عطشان، فقال: اسق أحاك النمري يصطبح، فذهبت مثلاً. ثم ظعنوا وبالقوم

مسكة غير كعب، فنزلوا فاقتسموا الماء، فلما بلغ كعباً نصيبه وأدركه الموت إليه النمري فقال: اسق اخاك النمري يصطبح، فشرّب النمري نصيبه، وأدركه الموت فنزل فاكتن في أصل شجرة فقيل له: إنا نرد الماء

غدا فرد كعب إنك وراذ فأرسلها مثلاً، وقال الفرزدق:

وكنا كأصحاب ابن مامة إذ سقى ... أخوا النمر العطشان يوم الضجاعم

إذا قال كعب هل رويت ابن قاسط ... يقول له زدني بلال الحلاقم

وكنيت ككعب غير ان منيتي ... تأخر عني يومها بالأحارم

وقال مامة بن عمرو:

أوفى على الماء كعب ثم قيل له ... رد كعب إنك وراذ فما وراذ

ما كان من سوقة أسقى على ظمأ ... خمراً بماء إذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب ثم عي به ... زو المنية الا حرة وقدا

أي لم تمتد المنية إلى قتله إلا بالعطش. وقال أبو كعب:

أمن عطش الدهنا وقلة مائها ... بقايا النطاف لا يكلمني كعب

فلو أنني لاقيت كعباً مكسراً ... بأنقاء وهب حيث ركبها وهب

لآسيت كعباً في الحياة التي ترى ... فعشنا جميعاً أو لكان لنا شرب

زعموا أن الحارث بن عباد

بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

طلق بعض نسائه بعدما اسن وخرف، فخلف عليها من بعده رجل كانت تظهر له من الوجد به ما لم تكن تظهره للحارث بن عباد، فلقي زوجها الحارث بن عباد فاخبره بمنزلته منها، فقال له الحارث: عش رجبا تر عجباً، فأرسلها مثلاً.

زعموا أن مياد بن حن

بن ربيعة بن حزام العذري

من قضاة نافر رجلاً من أهل اليمن إلى حكم عكاظ في الشهر الحرام، فأقبل مياد بن حن على فرسه وسلاحه، فقال: أنا مياد بن حن، انا ابن حبس الظعن، وأقبل اليماني عليه حلة يمانية، فقال مياد بن حن: احكم بيننا ايها الحكم، فقال الحكم: ازلام المعدي ونفر - نفر غلب، وازلام: سبق وأسرع - فذهب قوله مثلاً، وقضى مياد بن حن على صاحبه.

أسرت همدان عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فحبسوه عندهم زماناً وقيوده، وكان رجلاً خفيف اللحم لا يكاد يسمن، فلما اسر وطال حبسه كثر لحمه وسمن، فمكث أسيراً في همدان ما شاء الله، ثم افتدى نفسه فرجع إلى قومه وهو بادن كثير اللحم فقالوا: لقد سميت وكثر لحمك فقال: القيد والرعة فأرسلها مثلاً.

زعموا أن الخطيئة

لما حضره الموت اكتنفه أهله وبنو عمه فقالوا له: يا حطىء اوص، قال: فبم وما أوصي؟ مالي بين بني، فأرسلها مثلاً، فقالوا له: قد علمنا إن مالك بين بنيك فأوص، قال: ويل الشعر من رواية الشعر، فأرسلها مثلاً، قالوا له أوص، قال أخبروا أهل ضابيء بن الحارث انه كان شاعراً حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أنني ... وجدت جديد الموت غير لذيد
وانشد مثل هذا البيت:

ما لجديد الموت يا بشر لذة ... وكل جديد تستلذ طرائقه
ثم مات. وكانت له أمثال وهو الذي قال لا ترهن على الصعبة ولا تنشد قريضاً فأرسلها مثلاً، يقول إن الصعبة لا تذهب على ما تريد، والقريض أول ما ينشد، يقول: لا تنشد الشعر حتى تحكمه.

زعموا أن بعض ملوك غسان

كان يطلب في بطن من عاملة يقال لهم بنو ساعدة - وعاملة من قضاة - ذحلاً، فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسمك ابنا عمرو، فاحتبسهما عنده زماناً، ثم دعا بهما فقال: إني قاتل أحدكما، فأيكما اقتل؟ فجعل كل واحدٍ منهما يقول: اقتلني مكان أخي. فلما رأى ذلك قتل سماكاً وخلى سبيل مالك، فقال سماك حين ظن انه مقتول: ألا من شجت ليلة عامده كما بدأ ليلة واحده فأبلغ قضاة إن جنتها وأبلغ سراة بني ساعده وأبلغ نزاراً على نأيتها فان الرماح هي العائده فأقسم لو قتلوا مالكاً لكنت لهم حياً راصده برأس سبيل على مرصدٍ ويوماً على طرق وارده أم سماكٍ فلا تجزي فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم ليالي، ثم إن راكباً مروا يسرون وأحداهم يتغنى وهو يقول: فأقسم لو قتلوا مالكا ... الخ، فسمعت ذلك أم سماك فقالت: يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك، اخرج في الطلب بأخيك، فخرج في الطلب به حتى لقي قاتله يسير في ناس من قومه فقال: من احسن لي الجمل الأحمر؟ فقالوا له وعرفوه: لك مائة من الإبل فكف، فقال: لا أطلب أثراً بعد عين، فأرسلها مثلاً، وحمل على قاتل أخيه فقتله، وكان من غسان ثم من بني قميير، فقال مالك في ذلك:

يا راكباً بلغن ولا تدعن ... بني قميير وإن هم جزعوا
فليجدوا مثل ما وجدت فان ي كنت ميتاً قد مسني وجع
لا أسمع اللهو في الندي ولا ... ينفعني في الفراش مضطجع
لا وجد ثكلي كما وجدت ولا ... وجد عجول أضلها ربع
ولا كبير أضل ناقته ... يوم توافي الحجيج فاجتمعوا
ينظر في أوجه الركاب فلا ... يعرف شيئاً والوجه ملتمع
جللته صارم الحديد كاللح صلى الله عليه وسلم فيه سفاسق دفع

أضربه بادياً نواجذه ... يدعو صداه والرأس منصدع

بني قمير فتلت سيدكم ... فاليوم لا فدية ولا جزع

بين قمير وباب جلق في ... أثوابه من دمائه دفع

فاليوم قمنا على السواء فان ... تجروا فدهري ودهركم جذع

وكان فيما يذكر من حديث ابنة الزباء: إنما كانت امرأة من الروم، وأمها من العمالقة، فكانت تكلم بالعربية، وكانت ملكة على الجزيرة وقنسرين، وكانت مدائنها على شط الفرات من الجانب الغربي والشرقي، وهي قائمة اليوم خربة، وكان فيما يذكر قد شقت الفرات وجعلت أنفاقاً بين مدينتها - أنفاق: جمع نفق وهو السرب - وكانت تغزو بالجنود وتقاتل، وهي فيما يذكر التي حاصرت مارداً حصن دومة الجندل فامتنع مها، وحاصرت الأبلق حصن تيماء فامتنع منها، فقالت: تمرد مارداً وعز الأبلق، فأرسلت قولها مثلاً. وكان جذيمة الأبرش رجلاً من الأزد، وكان ملكاً على الحيرة وما حولها، وكان ينزل الانبار، وكان فيما يقال من احسن الناس وجهاً وأجملهم، فذكر أن يخطبها وكان له ربيب ومولى يقال له قصير، وكان رجلاً لبيباً عاقلاً فنهاه عنها وقال: إنه لا حاجة لها في الرجال، قال: وكان جذيمة أول من احتذى النعال ورمى بالمنجنيق ورفع له الشمع، فعصى قصيراً وكتب إليها يخطبها ويرغبها فيما عنده، فكتبت اليه: أن نعم وكرامة، أنا فاعلة، ومثلك رغب فيه، فإذا شئت فاشخص إلي فدعا قصيراً وسار، حتى إذا كان بمكان فوق الأنبار يقال له البقة، فدعا نصحائه فشاورهم فيها، فهاه قصير، ورأى أصحابه هواه فزبنوها له، فقال قصير حين رآه قد عزم: لا يطاع لقصير رأي، فأرسلها مثلاً. ومضى اليها في ناس كثير من أصحابه فأرسل اليها يعلمها انه قد اتاها، فهيات له الخيول وقالت: استقبلوه حين يدنو، وقالت: صفوا صفين فاذا دخل بين صفيكم فتقوضوا عليه، فليس من مر عليه خلفه حتى ينتهي إلى باب المدينة. وذكر أن قصيراً قد كان قال له حين عصاه وأبي إلا إتيانها إن استقبلك الخيل فصفوا لك صفين فوقض من تمر به من خلفك فان معك العصا فرسك، وانما لا يشق غبارها فأرسلها مثلاً، فتجلل العصا ثم انج عليها

فلما لقيته الخيول وتقوضوا من خلفه عرف الشر وقال لقصير: كيف الرأي؟ فقال له قصير: ببقة صرم الأمر وذهب قوله مثلاً. وسار جذيمة حتى دخل عليها وهي في قصر لها ليس فيه إلا الجوارح، وهي على سريرها فقالت: خذن بعضدي سيدكن، ففعلن، ثم دعت بنطع فأجلسته فعرف الشر، وكشف عن عورتها فإذا هي قد عقدت استنها بشعر الفرج من وراء وركيها، وإذا هي لم تعذر، فقالت: أشوار عروس ترى فأرسلتها مثلاً فقال جذيمة: بل شوار بطراء تفلتة، فقالت: والله ما ذاك من عدم مواس، ولا قلة أواس، ولكن شيمة من أناس، ثم أمرت برواهشه ففقطعت فجعلت تشخب دماؤه في النطع كراهية إن يفسد مقعدها دمه، فقال جذيمة: لا يجزئك دم هراقه أهله فأرسلها مثلاً. يعني نفسه. ونجا قصير حين رأى من الشر ما رأى على العصا، فنظر اليه جذيمة والعصا مدبرة تجري فقال: يا ضل ما تجري به العصا، فذهبت مثلاً. وكان جذيمة قد استخلف على ملكه عمرو بن عدي اللخمي، وهو ابن اخته، فكان يخرج كل غداة يرجو أن يلقي خبراً من جذيمة، فلم يشعر ذات يوم حتى اذا هو بالعصا عليها قصير، فلما رآها عمرو وقال خير ما جاءت به العصا

فأرسلها مثلاً، فلما جاءه قصير اخبره الخبر، فقال: اطلب بثأرك قال: كيف أطلب من ابنة الزبا وهي أمتع من عقاب الجو فأرسلها مثلاً، فقال قصير: أما اذا أبيت فاني سأحتال لها فاعني وخلاك ذم فأرسلها مثلاً، فعمد قصير إلى أنفه فجدعه، ثم خرج حتى أتى بنت الزبا فقيل: لأمر ما حدع قصير أنفه فصارت مثلاً. فقيل للزبا هذا قصير خازن جذيمة قد اتاك، قال: فأذنت له وقالت: ما جاء بك؟ قال: ائمني عمرو في مشورتي على خاله ياتيانك فجدعني، فلا تقربي نفسي مع من جدعني، فأردت أن آتيك فاكون عندك، قالت: فافعل، قال: فان لي بالعراق مالاً كثيراً، وإن بها طرائف مما تحبين أن يكون عندك، فأرسليني وأعطيني شيئاً بعلة التجارة حتى آتيك بما قدرت عليه وأطرفك من طرائف العراق، ففعلت وأعطته مالا، فقدم العراق فأطرفها من طرائفها، وزادها مالاً كثيراً إلى مالها، فقال لها: هذا ربح، فأعجبها ذلك وسرت به، فزادته أموالاً كثيرة وردته الثانية، فأطرفها أكثر مما كان اتاها به قبل ذلك، ففرحت وأعجبها، ونزل منها بكل منزلة؛ ولم يزل يتلطف حتى علم مواضع الأنفاق التي بين المدينتين، ثم رده الثالثة وزادته أموالاً كثيرة عظيمة فأتى عمراً فقال: احمل الرجال في التوايت والمسوح عليهم الحديد حتى يدخلوا المدينة ثم أبارها انا وأنت إلى موضع النفق فتقتلها، فعمد عمرو إلى ألفي رجل من أشجع من يعلم، ثم كان هو فيهم، فلما دنوا أتاها قصير فقال: لو صعدت المدينة فنظرت إلى ما جئت به فاني قد جئت بما صأى وصمت، فأرسلها مثلاً - صأى من الإبل والحيل، وصمت من الذهب وغيره - وكانت لا تخاف قصيراً، قد أمنتته، فصعدت المدينة، ورجع قصير إلى العير يحمل كل بعير رجلين دراعين عليهم السلاح كله، فلما رأته تقل الأحمال على الإبل قالت:

أرى الجمال مشيها وئيدا ... أجنديلاً يحملن أم حديدا

أم صرفنا بارداً شديدا ... أم الرجال في المسوح سودا

الصرافان: ضرب من التمر، ويقال انه الرصاص. ودخلت الابل كلها فلم يبق منها شيء وتوسطوا المدينة، وكانت افواه الجواليق مربوطة من قبل الرجال، لكنهم حلوها ووقعوا في الأرض مستلثمين، فشدوا عليها وخرجت هاربة تريد السرب، فاستقبلها قصير وعمرو عند باب السرب، وكان لها خاتم فيه سم فمصته وقالت: بيدي لا بيديك عمرو، فذهب قولها مثلاً، وضربها عمرو وقصير حتى ماتت: وقالت العرب في أمرها وأمر قصير فاكثروا، فقال عدي بن زيد العبادي يخاطب النعمان:

ألا يا أيها المثري المرجى ... ألم تسمع بخطب الاولينا

القصيدة كلها. وقال نهمشل بن حري الدرامي:

ومولى عصاني واستبد بأمره ... كما لم يطع بالبقنين قصير

فلما رأى ما غب أمري وأمره ... وولت بأعجاز المطي صدور

تمنى أخيراً أن يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال المخيل السعدي:

يا أم عمرة هل هويت جماعكم ... ولكل من يهوى الجماع فراق

بل كم رأيت الدهر زيل بينه ... من لا ترايل بينه الأخلاق

طلب ابنة الربا وقد جعلت له ... دوراً ومسرَبَةً لها أنفاق
وقال المتلمس:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يليس

وقال أبو النجم حبيب بن عيسى: كان جذيمة قال لندمائه بلغني عن رجل من لحم يقال له عدي بن نصر ظرف وعقل، فلو بعثت إليه فوليته كأسي، قالوا: الرأي رأي الملك، فبعثت إليه فأحضره وصير إليه أمر كأسه والقيام على ندمائه، فأبصرته رقاش أخت جذيمة فأعجبت به، فبعثت إليه: إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفاً، فإذا أخذت الخمر منه فاحطني إليه، ففعل، وأجابه الملك وأشهد عليه القوم، وأدخلته عليها من ليلتها فواقعها، واشتملت على حمل، وأصبح جذيمة فرأى به آثار الخلق، فقال: ما هذه الآثار يا عدي؟ فقال: آثار العرس برقاش، فزفر جذيمة وأكب على الأرض واغتم يفكر في الأرض، وأخذ عدي مهلة فلم يحس له أثر، وبعث جذيمة إلى رقاش:

خبريني رقاش لا تكذبيني ... أبحر زينة أم بهجين

أم بعد فانت أهل لعبد ... أم بدون فانت أهل لدون

فأرسلت إليه: لعمري ما زيت ولكك زوجيني، فرضيت ما رضيت لي. فنقلها إلى حصن له فأنزلها إياه، وتم حملها، فولدت غلاماً فسمته عمراً، حتى إذا ترعرع ألبسته من طرائف ثياب الملوك ثم أزارته خاله، فلما دخل عليه القيت عليه منه المودة، وقذف له في قلبه الرحمة. ثم إن الملك خرج في سنة مكلنة خصيبة قد اكمأت، فسط له في بعض الرياض، وخرج ولدان الحمي يجتنون الكمأة، وخرج عمرو فيهم فكانوا إذا اجتنوا شيئاً طيباً أكلوه، وإذا اجتناه جعله في ثوبه، ثم أقبلوا يتعادون، وأقبل معهم وهو يقول: هذا جناي وخياره فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه ثم استطارته الجن فلم يحسس، ثم أقبل رجلان من بلقين يقال لهما مالك وعقيل، قد اعتمدا جذيمة بمديّةٍ معهما، فنزلا في بعض الطريق، وعمدت قبينة لهما فأصلحت طعامهما ثم قربته إليهما، فأقبل رجل طويل الشعر والأظافر حتى جلس منهما مزجر الكلب، ثم مد يده فناولته القبينة من طعامهما ثم قربته إليهما، فأقبل رجل طويل الشعر والأظافر حتى جلس منهما مزجر الكلب، ثم مد يده فناولته القبينة من طعامهما، فلم يغن عنه شيئاً، ثم أعاد يده فقالت القبينة: أعطي العبد كراعاً فطلب ذراعاً، فأرسلتها مثلاً، ثم سقتهما شراباً لهما من زق معهما، ثم وكت الزق، فقال عمرو: عدلت الكأس عنا أم عمرو إلى آخر البيتين ويروى صدقت. فسألاه عن نسبه، فانتسب لهما، فنهضا إليه وقرباه، ثم غسلاه ونظفاه، وألبساه من طرائف ثيابهما وقدماه به على جذيمة، فجعل لهما حكمهما، فقالا: منادمتك ما بقيت وبقينا، فهما ندمانا جذيمة اللذان يقول متمم ابن نويرة حين رثى أخاه يذكرهما:

وكنا كندماني جذيمة حقة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأبي ومالكاً ... لطول افتراق لم نبت ليلة معا

وقال آخر:

ألم تعلمنا أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل

وأمر جديمة بصرف عمرو إلى أمه، فبعهدته أياما حتى راجعته نفسه وذهب شحوبه، ثم ألبسته من طرائف ثياب الملوك، وجعلت في عنقه طوقا منذهب، ثم أمرته بزيارة خاله، فلما رأى لحيته والطوق في عنقه قال: شب عمرو عن الطوق فأرسلها مثلاً، ثم أقام مع خاله قد كفاه أمره إلى أن يخرج جديمة الى ابنة الزباء، فكان من أمره ما كان.

؟؟

زعموا أن المنذر بن ماء السماء

لما هلك وترك عمراً وقابوساً وحساناً وامهم هند بنت الحارث بن آكل المرار الكندي، والأسود بن المنذر، وأمهم امرأة من تيمم الرباب، وعمراً الأصغر وأمهم أمامة، وبين غيرهم لعلات، وأن عمراً ملك بعد أبيه المنذر، وكان عمرو يدعى محرقاتاً لأنه احرق اليمامة، فاستعمل عمرو أخاه قابوساً على ما بدا له من عمله، وكان له الريف سواد العراق، فغضب عمرو بن امامة فلحق باليمن، يريد إن يستنصرهم على أخيه عمرو ويغزو بهم، فقال عمرو بن أمامة في ذلك:

ألا ابن أمك ما بدا ... ولك الخورنق والسدير

فلأمنعن منابت الضم ... ران إذا منع القصور

بكتائب تردى كما ... تردى الى الجيف النسور

إنا بني العلات تقضى دون شاهدنا المور

فنزله عمرو في مراد، فملكوه وعظموه، فنغطرس وجعل يريد إن يستعبدهم، فقتلوه - قتله ابن الجعيد

المرادي - فقال في ذلك طرفة بن العبد:

أعمرو بن هند ما ترى رأي معشر ... أفاتوا أبا حسان جارا مجاورا

دعا دعوة إذ شكت النبل صدره ... امامة واستدعى بذاك معاشر

فغزاهم عمرو بن هند حين بلغه قتل عمرو بن امامة، فظفر بهم فقتل فيهم أكثر، وأتى بابن الجعيد سالما فلما رآه قال: بسلاح ما يقتلن القليل فأرسلها مثلاً، ثم أمر به فضرب بالعمد حتى مات.

وزعموا أن براقش

ابنة تقن كانت امرأة لقمان بن عاد، وكان بنو تقن من عاد أصحاب إبل، وكان لقمان صاحب غنم، وكان لا يطعم لحوم الإبل، فأطعمته امرأته براقش من لحوم الإبل فتحرب إليهم التي يحتملون عليها فأكلها ثم قاتل إخوتها على إيلهم، فقبل: على أهلها تجني براقش، فأرسلت مثلاً.

وزعموا أن لقمان بن عاد

كان زوج أخته رجلاً من قومه ضعيفاً أحق، فولدت له فاحمقت وأضعفت، فلما رأت ذلك أعجبها أن يكون لها ولد، له مثل أدب لقمان أخيها ودهاؤه، فقالت لامرأة لقمان: إني أمسيت الليلة على طهر، فهل لك على إن أجعل لك جعلاً على إن تخليني وأخي فآكون معه الليلة؟ فقالت: نعم، فسقته حتى سكر، فباتت معه، فحملت له، فولدت غلاماً فسّمته لقيماً، فلما أفاق من سكره وبات عند امرأته من الليلة المقبلة قال: هذا حر معروف وكنت البارحة في حرٍ منكّر فذهب قوله مثلاً، قال النمر بن تولب العكلي يذكر عجائب الدهر:

لقيم بن لقمان من أخته ... وكان ابن أختٍ له وابنما

ليالي حمقت فاستحصنت ... إليه فغر بها مظلماً

فأحبّلها رجل نابه ... فجاءت به رجلاً محكماً

وزعموا أن لقيماً خرج من أحزم الناس وأنكرهم

وأنه خرج هو لقمان مغيرين، فأصابا إبلاً، فحسد لقمان لقيماً فقال له لقمان: اختر إن شئت فسر بالليل وأسير أنا في النهار، وإن شئت فأقم بالنهار وأسير أنا بالليل، فاختر لقيم إن يسير بالليل ويقيم بالنهار، واختر لقمان إن يسير بالنهار، فأخذ لقيم حصته من الإبل، فجعل إذا كان بالنهار رعى إبله ونام، حتى إذا كان بالليل سار بإبله ليله حتى يصبح، وكان يرعاها بالنهار ويسير بالليل، وكان لقمان يسير بالنهار فتشغل إبله بالرعية عن السير وينام الليل، فجعلت إبله لا ترعى كثيراً فضمرت، وأبطأ في السير فسبقه لقيم، فلما أتى أهله نحر جزوراً فاكلوها، وكان للقمان ابنة يقال لها صحر، فخبأت له من الجزور لحماً تتحف به لقمان إذا جاء، فلما جاء لقمان طبخته أو شوته، ثم استقبلته به قبل أن ينتهي إلى الحي، فلما طعم من اللحم قال: ما هذا؟ قالت: من لحوم العريصات أثراً، قال: ومن أين لك هذا؟ قالت: جاء لقيم فنحر جزوراً، وكان لقمان يحسب أنه قد سبق لقيماً، فلما أخبرته أسف، فلطمها لطمه قال بعض من يحدث: ماتت منها، وقال بعضهم: ألقى أضراسها، وقال الناس: ذنب صحر أنها أتحفته وأكرمته وصدقته فلطمها، فصارت مثلاً. وقال خفاف بن ندبة السلمي:

وعباس يدب لي المنايا وما أذنت إلا ذنب صحر

وكيف يلومني في حب قوم ... أبي منهم وأمي أم عمرو

وزعموا أن لقمان بن عاد

كان إذا اشتد الشتاء وكلب أشد ما يكون شد راحلة موطنة لا ترغوا ولا يسمع لها صوت فيشتد بها برحلهما ثم يقول للناس، حين يكاد البرد يقتلهم: ألا من كان غازياً فليغز، فلما شب لقيم ابن أخته اتخذ راحلة مثل راحته فوطنها فلما كان حين نادى لقمان من كان غازياً فليغز قال لقيم أنا معك إذا شئت، فلما رآه قد شد رحلها ولم يسمع لها رغاء قال لقمان: كأن برحل باتت، قال لقيم: وبرحلها باتت لقم، فذهب قولاهما مثلاً.

ثم أنهما سارا فأغارا فأصابا إبلاً، ثم انصرفا نحو أهلهما، فنزلا فنحرا ناقة، فقال لقمان للقيم: أتعشي أم أعشي لك؟ قال لقيم: أي ذلك شئت، قال لقمان: اذهب فارع إبلك حتى النجم قم رأس، وحتى ترى الجزاء كأنها قطا نوافر، وحتى ترى الشعري كأنها نار، فإذا تكن عشيت فقد آتيت، فقال له لقيم: نعم واطبخ أنت لحم جزورك، فإز ماء واغله حتى ترى الكراديس كأنها رؤوس شيوخ صلح، وحتى ترى الضلوع كأنها نساء حواسر، وحتى ترى الودر كأنها قطا نوافر، وحتى ترى اللحم غطياً وغطفان، فلا تكن أنضجت فقد آتيت؛ فانطلق لقيم في إبله، ومكث لقمان يطبخ لحمه، فلما أظلم لقمان وهو بمكان يقال له شرح - وهو اليوم ماء لبني عيس - قطع سمرة من شرح فأوقد النار حتى أنضج لحمه، ثم حفر دونه خندقاً فملأه ناراً ثم واراها، فلما أقبيل لقيم إلى مكانهما عرف المكان وأنكر ذهاب السمر فقال: أشبه شرح شرحاً لو إن أسيمرا، فأرسلها مثلاً.

ووقعت ناقة من إبله في تلك النار فنفرت، وعرف لقيم إنما صنع لقمان النار لتصبيه، وإنما حسده، فسكت عنه، ووجد لقمان قد نظم في سيفه لحماً من لحم الجزور وكبداً وسناماً حتى تواري سيفه، وهو يريد إذا ذهب لقيم ليأخذها أن ينحره بالسيف، ففطن له لقيم فقال: في نظم سيفك ما ترى يا لقم، فأرسلها مثلاً. وحسده لقمان الصحبة فقال: القسمة فقال لقمان: ما تطيب نفسي أن تقسم هذه الإبل إلا وأنا موثق فأوثقني، فأوثقه لقيم، فلما قسم الإبل سوى القسمة وبقي من الإبل عشر أو نحوها، فجشعت نفس لقمان، فحط نحة تقطعت منها الانساع التي هو بها موثق، ثم قال لي الغادرة والمغادرة والأفيل النادرة فذهب قوله مثلاً. وقال لقيم قبح الله النفس الخبيثة، هو لك، ثم افترقا. والغادرة: الباقية، والأفيل تصغير إفال: الولد الصغير من الإبل.

وزعموا أن ابن بيض

كان رجلاً من عاد تاجراً مكثراً، فكان لقمان يجيز له تجارته ويجيزه ويعطيه في كل عام جارية وحلة وراحلة، فلما حضر ابن بيض الموت خاف لقمان على ماله، فقال لأبنته: سر إلى أرض كذا وكذا، ولا تقارن لقمان في أرضه فإن له في عامنا هذا حلة وجارية وراحلة، وضع للقمان فيها حقه، فإذا هو قبله فهو حقه عرفناه له واتقينا به، وإن لم يقبله وبغي أدركه الله بالبغي والعدوان، فصار الفتى حتى قطع الثنية بأهله وماله، ووضع للقمان حقه فيها، وبلغ لقمان الخبر، فلحقهم، فلما كان في الثنية وجد فيها فأخذه وانصرف وقال سد ابن بيض الطريق فأرسلها مثلاً. وقد ذكر ذلك شعراء العرب وقالوا فيه، قال عمرو بن أسود الطهوي:

سددنا كما سد ابن بيض سبيله ... فلم يجدوا فرط الثنية مطلعا

وقال عوف بن الاحوص العامري:

سددنا كما سد ابن بيض فلم يكن ... سواها لذي احلام قومي مذهب

وقال المخبل السعدي:

لقد سد السبيل أبو حميد ... كما سد المخاطبة ابن بيض

زعموا أن رجلاً من عاد كان لبيباً حازماً

يقال له جد نزل على رجل من عاد وهو مسافر فبات عنده، ووجد عنده أضيافاً قد اكلوا من الطعام والشراب قبله، وإنما طرفهم جد طروقاً، وبات وهو يريد الدلجة من عندهم ليليل، ففرش لهم رب البيت مبنأة - والمبناة: النطع - فناموا عنده، فسلح بعض القوم الذين كانوا يشربون، فخاف جد أن يدلج فيظن رب البيت أنه هو فعل، فقطع حظه من النطع الذي نام عليه، ثم دعا رب المنزل حين أراد إن يدلج وقد طواه فقال: هذا حظ جد من المبناة، فمن المبناة، فأرسلها مثلاً، يقول انظر اليه فيه شيء مما تكره. وقد ذكرته العرب في أشعارها، وقال مالك بن نويرة:

ولما أتيتم ما تمنى عدوكم ... عدلت فراشي عنكم ووسادي
وكت كجد حين قد بسهمه ... حذار الخلاط حظه بسواد
وقال خراش بن شمير الخاري:

ألا يتقي من كاس إن ضاع ضائع ... وكل امرئ لله بادٍ مقاتله
فيأثر بالتقوى ويحتاز نفسه ... إذا بادر الميقات حيناً يغاوله
كما احتاز جد حظه من فراشه ... بمراته في أمره اذ يزاوله

زعموا أنه كان بين لقمان بن عاد وبين رجلين

من عاد يقال لهما عمرو وكعب ابنا تقن مغاورة

وكانا من أشد عادٍ وأدهاها وأنكرها، وكانا ربي إبل، وكان لقمان رب غنم، فأعجب لقمان الإبل، فأرادهما عنها فأبيا أن يبيعا، فعمد إلى ألبان غنمه من ضأن ومعزى فجمع لهما كثيراً ثم أتى تلة هما بأسفلها، فأسأل ذلك اللبن وفيه زبد كثير وأنافح من أنافح السخل، فلما رأيا ذلك قال: إحدى سحبيات لقمان هي، فلم يلتفتا إلى ذلك ولم يرغبوا في ألبان الغنم، فلما رأى ذلك لقمان قال: خر خير الانفح والنقد المذبح، اشترياها ابني تقن، أقبلت ميسا، وأدبرت هيسا، وملأت البيت أقطاً وحيساً، اشترياها ابني تقن، إنما الضأن تجز جفالاً، وتنتج رخلاً وتحلب كشيبة تقالاً، قالوا: انصرف لا نشترها يا لقم، إنما الإبل حملن فأتقلن، وزجرن فأعنتن، وبغير ذلك اقلعن، بغزرن اذا قطن فلما لم يبيعاها الإبل ولم يشتريا منه الغنم جعل يراودهما، وكانا يهابانه، وكان يلتمس إن يغفلا فيشد على الإبل فيطردها فلما كان ذات يوم اصابا ارنبا وهو يرصدهما رجاءة إن يصيب غفلتهما فيذهب بالابل، فأخذ أحدهما صفيحة من الصفا فجعلها في أيدهما ثم جعل عليها كومة من التراب، فملا الأرنب، فلما أنضجها نفضا عنها التراب فأكلاها ولما رآهما لقمان لا يغفلان عن إبلهما ولم يجد فيهما مطعماً لقيهما ومع كل واحد منهما جفير مملوء نبلاً، وليس معه غير سهمين، فخدعهما فقال: ما تصنعان بهذه النبل الكثيرة التي معكما؟ إنما هي حطب، فوالله ما أحمل غير سهمين، فان لم أصب بهما فليست بمصيب، ثم قال رميت فرميت، وأثنت فأنثيت، الى ذلك ما حي حي أو مات ميت، فأرسلها مثلاً. فعمد إلى نبلهما فنشراها غير سهمين، فعمد الى النبل فحواها، فلم يصب لقمان فيهما بعد ذلك غرة. وكانت فيما يذكرون لعمرو بن تقن امرأة فطلقها فتزوجها لقمان، فكانت المرأة وهي عند لقمان تكثر إن

تقول: لا فتى إلا عمرو فأرسلتها مثلاً، فكان ذلك يغيظ لقمان ويسؤوه كثرة ذكرها عمراً فقال لقمان: قد أكثرت في عمرو، فوالله لأقتلن عمراً، فقالت: انك لن تفعل، وكانت لابني تقن سمرة عظيمة يستظلان فيها حتى ترد إليهما فيسقيها، فصعد فيها لقمان، واتخذ فيها عشاً، ورجا أن يصيب من ابني تقن غرة فلما وردت الإبل تجرد عمرو واكب على البئر يستقي، فرماه لقمان من فوقه بسهم في ظهره، فقال: حس، إحدى حظيات لقمان ثم أهوى إلى السهم فانتزعه، فرفع رأسه في الشجرة فإذا هو بلقمان، فقال: انزل، فنزل، فقال: استق بهذا الدلو، فزعموا إن لقمان لما أراد إن يرفع الدلو حين امتلأ تمض تمضه ففرض، فقال له عمرو بن تقن: أضرباً آخر اليوم وقد زال الظهر؛ فأرسلها مثلاً. ثم إن عمراً أراد أن يقتل لقمان، فتيسم لقمان، فقال عمرو: أضحك أنت؟ فقال لقمان: ما أضحك إلا من نفسي، أما إني قد فهمت عما ترى، قال: ومن هناك؟ قال: فلانة، قال: أفلي عليك إن وهبتك لها لتعلمنها ذلك؟ قال: نعم فخلى سبيله، فأتاها لقمان فقال: لا فتى إلا عمرو، قالت: أقد لقيته؟ قال: نعم قد لقيته فكان كذا وكذا، ثم أسرني فأراد قتلي، ثم وهبني لك، فقالت: لا فتى إلا عمرو.

زعموا أن لقمان كان يقول

إذ أمسى النجم، قم رأس، ففي الدثار فاحنس، وسمناهن فاحدس، وأنمش بنيك وأنمّس، وإن سئلت فاعبس. احدس: أضجعها فاذبحها، وأنمّس: أي أطعم بنيك، حنس في البيت: اذا قعد. وقال: إذا طلعت الشعري سفراً - أي عشياً - ولم تر فيها مطراً، فلا تغذون إمرةً ولا أمراً، وأرسل العروض أثراً، يبغينك في الأرض معمرأ. سفراً: غروب الشمس قبل إن يغيب الشفق، يقول لا تغذون جذعاً جدياً ولا عناقاً على هذا القليل.

زعموا أنه كان لرجل من طسم كلب

فكان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويسمنه ويرجو إن يصيد به أو يجرس غنمه، فاتاه ذات يوم وهو جائع فوثب عليه الكلب فأكله فليل: سمن كلبك يأكلك، فذهب مثلاً.

وقال بعض الشعراء:

ككلب طسم وقد تربيته ... يعله بالحليب في الغلس

ظل عليه يوماً يفرفره ... إلا يبلغ في الدماء ينتهس

يفرفره: أي يجره برأسه ويقطعه. وقال مالك بن أسماء:

هم سموا كلباً ليأكل بعضهم ... ولو ظفروا بالخزم لم يسمن الكلب

وقال عوف بن الاحوص لقيس بن زهير العبسي:

أراني وقيساً كالمسمن كلبه ... فخذشه أنيابه وأظافره

زعموا أن لقمان بن عاد

جاور حياً من العمالقة، وهم عرب، فملاً عساً له لبنا، ثم قال لجارية له: انطلقني بهذا العس إلى سيد هذا الحي فأعطيه إياه وإياك أن تسالي عن اسمه واسم أبيه، فانطلقت حتى أتتهم، فإذا هم بين لاعب وعامل في ضيعته ومقبل على أمره، حتى مرت بثمانية نفر منهم عليهم وقار وسكينة، ولهم هيئة، فقامت تنفوس فيهم أيهم تعطي العس، فمرت بها أمة، فقالت لها جارية لقمان: إن مولاي أرسلني إلى سيد هذا الحي بهذا العس، ونهاني أن أسأل عن اسمه واسم أبيه، فقالت لها الأمة: إني واصفتهم لك فخذني أيهم شئت أو ذري، وفيهم سيد الحي، فقالت الأمة: أما هذا فييض مرض مرضة وقد أسنت القوم فعدل مرضه عندهم إسناقم، وقد كانوا يريدون المسير فأقموا عليه فأوسع الحي دقيقاً نفيضاً، ولحماً غريضاً، ومسكاً رفيضاً، وكساهم ثياباً بيضا. وأما هذا فحممة: غداؤه في كل يوم بكرة سمنة، وبقرة شحمة، ونعجة كدمة؛ وأما هذا فطفيل: ليس في أهله بالمسرف النثر، ولا البخيل الحصر، ولا يمنع الحي من خير إن اتمروا. وأما هذا فذفافة: طرق الحي حشاً من الليل، وولدان الحي يتحدثون عنده، فقام مشتتاً وسنان ثملاً إلى جذعان الإبل، وهو يحسبها جندياً فقذفها إليهم قذفاً لأولها زحيف، ولآخرها حفيف، ولأعناقها على أوساطها قصيف. وأما هذا فمالك: أولنا إذا دعينا، وحامينا إذا غرينا، ومطعم أولادنا إذا شتونا، ومفرح كل كربة أعيت علينا. وأما هذا فتميل: غضبه حين يغضب ويل، وخيره حين يرضى سيل، في أهله عبد، وفي الجيش قيد، ولم تحمل أكرم منه على ظهورها إبل ولا خيل، واما هذا ففرزعة إن لقي جائعاً أشبعه، وإن لقي قرناً جمععه - أي رمى به إلى الأرض - وقد خاب جيش لا يغزو معه. وأما هذا فعمار صوات جار لا تخمد له نار للطبي عقار اخاذ ووذار فناولت العس مالكاً وكان سيدهم. فقال: من أنت يا جارية؟ قالت: جارية لقمان بين عاد، قال: وكيف هو؟ قالت: شيخ كبير وهو بخير، قال: وملك وكيف بصره؟ قالت: كليل، والاله لقد كل بصره، واسترخى سفره، فما يبصر إلا شفا - أي شيئاً قليلاً - وانه على ذلك ليعرف الشعرة البيضاء بين صريح اللبن والرغوة، قال: فما بقي من قيافته؟ قالت: هو والله لقد ضعف بصره، واشتبهت الآثار عليه، وانه على ذلك ليعرف اثر الذرة الأثى من الذرة الذكر، في الصفا الأملس في ليلة ظلمة ومطر، قال: وكيف أكله؟ قالت: قليل، والاله لقد ضرسه، وانطوت أمعاؤه وما بقي من أكله إلا انه يتغذى جزوراً ويتعشى آخر، و يأكل بين ذلك جذعة من الإبل، قال: فما بقي من رمايته، قالت: قليل، والاله لقد ضعف عضده، وارعشت يده، وما بقي من رمايته إنه إذا رمى لم تقم رابضة، ولم تريض قائمة، ولم تمسك مخطاة ولدا قال: وملك كيف قوته؟ قالت: والاله لقد رق عظمه، وانحنى ظهره، وضعفت قوته، وكبرت سنه، وما بقي من قوته إلا انه إذا غدا في إبله احتقر لها ركية فأرواها، وإذا راح احتقر لها ركية فأرواها. وهؤلاء أيسار لقمان وإياهم عنى طرفة بقوله:

وهم أيسار لقمان إذا ... اغلت الشتوة ابداء الجزر
وقال أوس بن حجر:

أيسار لقمان بن عاد سماحة ... وجوداً إذا ما الشول أمست جرائرا
زعموا أن رجلاً مضى في الدهر الأول

كان له عبد لم يكذب قط، فبايعه رجل ليكذبه، وجهلا الخطر بينهما أهلها، فلما تبايعا قال الذي

زعم ان العبد يكذب لمولى العبد: أرسله فليت عندي الليلة فانه يكذبك إذا أصبح، فأرسله مولاه معه، فبات عنده، فأطعمه لحم حوار، وعمدوا إلى لبن حليب فجعلوه في سقاء قد حزر، فخصخصوا ذلك اللبن الحليب فسقوه، وفيه طعم الحليب وفيه حرز السقاء، فلما أصبح الرجل احتمل وقال للعبد: الحق بأهلك، فلحق العبد حين احتمل القوم ولما يسبوا فلما توارى عنهم العبد حلوا مكانهم في منزلهم الذي كانوا فيه، وأتى العبد سيده فقال له: ما قروك الليلة؟ فقال: أطعموني لحماً لا غنّاً ولا سميناً، وسقوني لبناً لا محضاً ولا حقيناً، قال: على أية حال تركتهم؟ قال: تركتهم قد ظعنوا فاستقلوا، فما أدري أساروا بعد أو حلوا: وفي النوى يكذبك الصادق، فأرسلها مثلاً، وأحرز مولاه مال الذي بايعه وأهله.

زعموا أن النعمان بن المنذر

اتخذ مجلساً قريباً من قصره بالحيرة، فجعل تحته طاقات وجصصة، فكان أبيض، وكان ذلك المجلس يسمى ضاحكاً لبياضه، وكان النعمان فرس يقال له اليعموم، وقد ذكرته العرب في أشعارها، قال لبيد بن ربيعة: لو كان شيء في الحياة مخلداً ... في الدهر أدركه أبو يكسوم والحرثان كلاهما ومحرق ... والتبعان وفارس اليعموم وقال الأعرشي: ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بنعمته يعطي القطوط ويأفق ويجبي إليه السيلحون ودونها ... صر يفون في أنهارها والخور تق ويأمر لليعموم كلّ عشية ... بقيت وتعليق فقد كاد يسبق وكان للنعمان أخ من الرضاعة من أهل هجر يقال له سعد القرقرة، وكان من أضحك الناس وأبطالهم، وكان يضحك النعمان ويعجبه، وسعد الذي يقول: ليت شعري متى تحب بي لنا ... قة نحو العذيب فالصبيون محقياً زكرة وخيز رقائق ... وحباقاً وقطعة من نون فزعموا أن النعمان قعد في مجلسه ذات يوم ضاحكاً، فأتي بحمار وحش، فدعا بفرسه اليعموم فقال: احملا سعداً على اليعموم وأعطوه مطرداً وحلوا عن هذا الحمار حتى يطلبه سعد فيصرعه، فقال سعد: أني إذن أصرع عن الفرس، ومالي ولهذا؟ قال النعمان: والله لتحملنه، فحمل على اليعموم، ودفع إليه المطرد، وحلّي الحمار، فنظر سعد إلى بعض بنيه قائماً في النظارين فقال: بأبي وجوه اليتامى، فأرسلها مثلاً، فالتقى الرمح وتعلق بمعرفة الفرس، فضحك النعمان، ثم أدرك فأنزل، فقال سعد القرقرة: نحن بغرس الودي اعلم من ... ابقود الجياد في السلف يا لهف أمني وكيف أطعنه ... مستمسكاً واليدان في العرف

قد كنت أدركته فأدرني للصيد جدّ من معشر عنف أي ادركني عرق من آبائي الذين كانوا عنفاً للخيل،
أي يكن له فروسية.

زعموا أن مسافرين أبي عمرو أمية بن عبد شمس

مرض واستسقى بطنه، فداواه عبادي وأحمى مكأويه، فلما جعلها على بطنه، ورجل قريب منه ينظر إليه،
جعل ذلك الرجل يضط، فقال مسافر: قد يضط العير والمكواة في النار فأرسلها مثلاً.

زعموا أن ضرار بن عمرو الضبي

ولد له ثلاثة عشر ولداً وكلهم بلغ إن كان رجلاً ورأساً، فاحتمل ذات يوم، فلما رأى رجلاً معهم أهلوهم
وأولادهم سره ما رأى من هيئتهم، ثم ذكر في نفسه أنهم لم يبلغوا ما بلغوا حتى رقّ وأسنّ وضعف أنكر
نفسه، فقال: من سره بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلاً، فقال:
إذا الرجال ولدت أولادها ... فانفضت من كبر أعضادها
وجعلت أوصابها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

زعموا أن طفل بن مالك بن جعفر بن كلاب

كانت تحته امرأة من بني القين ابن جسر بن قضاة، فولدت له نفراً منهم يزيد وعقيل، فتبنت كبشة بنت
عروة بن جعفر عقيلاً، وكانت ضربتها، فعزم بعض العرامة على أمه ففرّ منها فأدركته وهو يريد إن يلجأ إلى
كبشة، فضربتة أمه، فألقت كبشة نفسها عليه ثم قالت: ابني ابني، فقالت القينية: ابنك من مضي عقبك،
فأرسلتها مثلاً، فرجعت كبشة وقد ساءها ما قالت القينية فولدت عامر بن الطفيل بعد ذلك.

زعموا أن عصام بن شهير الجرمي

كان أشد الناس بأساً، أيبنهم لساناً، وأحزمهم رأياً، ولم يكن في بيت قومه، وكان من صلحائهم، وكان على
عامّة أمر النعمان، قال: قاتل من الناس: وكيف نزل عصام بهذه المنزلة من النعمان وليس في بيت قومه
وليس بسيدهم؟ فقال عصام:

نفس عصام سوّدت عصاماً ... وجعلته ملكاً هماماً
وعلمته الكرّ والإقداما ... وألحقته السادة الكراما
وعصام بن شهير الذي يقول له النابغة:

ألم أقسم عليك لتخبرني ... أحمولّ على النعش الهمام
فاني لا ألومك في دخول ولكن ما ورائك يا عصام
زعموا أن رجلاً من العرب

خطب إلى قوم من العرب فتاة لهم، ورغب في صهرهم، وكانت فتاتهم سوداء دميمة، فاجلسوا له مكانها امرأة جميلة، فأعجبته فتزوجها، فلما دخلت عليه إذا المرأة غير التي رأى، قال: ويلك من أنت، قالت: فلانة ابنة فلان، اسم المرأة التي تزوج، قال: ما أنت بالتي رأيت، قالت: علقت معالقها وصرّ الجندب فأرسلتها مثلاً، فإن كنت أنت فلانة فالحقي بأهلك فأنت طالق.

زعموا أن زهير بن جناب بن هبل الكلي

وفد إلى بعض الملوك ومعه أخوه عدي بن جناب، وكان عدي يحمق، فلما دخلا شكوا الملك إلى زهير - وكان ملاطفاً له - إن أمه شديدة الوجد، فقال عدي اطلب لها كمرّة حارة، فغضب الملك وأمر به أن يقتل، فقال له زهير: أيها الملك إنما أراد عدي أن يبعث لك الكمأة، فأنا نستحبها وتندأوى بها في بلادنا فأمر به فرد فقال له الملك: زعم زهير إنما أردت كذا وكذا، فظفر عدي إلى زهير فقال: اقلب قلباً فأرسلها مثلاً.

زعموا أن سليحاً من قضاة

طلبوا غسان في حرب كانت بينهم، فأدركوهم بالقسطل، فقالوا: يوم كيوم القسطل، فذهبت مثلاً.

زعموا أن امرأة كانت بغياً تؤاجر نفسها

وكان لها بنات، فخافت أن يأخذن ماخذها، فكانت إذا غدت في شأنها قالت: احفظن أنفسكن، وإياكن إن يقربكن احد، فقالت إحداهن: تنهانا أمنا عن الغي وتعدو فيه، فذهبت مثلاً، فقالت الأم: صغراهن مراهن أي أنكروهن وأداههن.

زعموا أن قوماً تحملوا وهم في صفر

فشدوا عقد حبلمهم الذي ربطوا به متاعهم، فلما نزلوا عاجلوا متاعهم فلم يقلدوا على حله إلا بعد شر، فلما أرادوا أن يحملوا قال بعضهم: يا حامل اذكر حلاً، فأرسلها مثلاً.

زعموا أنه لما غزا المنذر بن ماء السماء

غزاته التي قتل فيها قطع به الحارث بن جبلة ملك غسان، وفي جيش المنذر رجل من بني حنيفة ثم أخذ بني سحيم يقال له شمر بن عمرو، كانت أمه من غسان، فخرج يتوصل بجيش المنذر، يريد أن يلحق بالحارث بن جبلة، فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث، فقال: أتاك ما لا تطيق، فما رأى ذلك الحارث ندب من أصحابه مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً ثم قال: انطلقوا غلى عسكر المنذر فاحبروه أنا ندين له ونعطيه حاجته، فادا رايتهم منه غرة فاحملوا عليه، ثم أمر لابنته حليلة بنت الحارث بمركن فيه خلوق، فقال: خلقيهم، فجعلت تخلقهم حتى مرّ عليها فتى منهم يقال له لبيد بن عمرو، فذهبت لتخلقه، فلما دنت قبلها، فلطمته وبكت، أتت أباها فأخبرته قال: ويلك اسكتي فهو أرجاهم عندي ذكاء قلب، مضى القوم وشمر بنت عمر الحنفي حتى أتوا المنذر، فقالوا له: أتيناك من عند صاحبنا، وهو يدين لك ويعطيك حاجتك، فبأشرك أهل عسكر

المنذر بذلك وغفلوا بعض الغفلة، فحملوا على المنذر فقتلوه ومن كان حوله، فقييل: يوم حليلة بسر، فذهبت مثلاً، قال النابغة وهو يمدح غسان: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بمنّ فول من قراع الكتاب تخيرن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وزعموا أن سهيل بن عمرو أخا بني عامر لؤي

كان تزوج صفية بنت أبي جهل ابن هشام، فولدت انس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم خرج وجهة فوقفا بجزورة مكة، واقبل الاخنس بن شريق الثقفي قال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال: حياك الله يا فتى؟ أين أمك؟ قال: أمي في بيت أم حنظلة تطحن دقيقاً، قال أبوه: أساء سمعاً فأساء الإجابة، فلما رجعا قال أبوه: فضحني اليوم ابنك عند الاخنس، قال كذا، قالت: إنما ابني صبي، قال: أشبه امرؤ بعض بزة، فأرسلها مثلاً.

زعموا أن رجلاً بينما هو في بيته

إذا جاءه ضيف فنزل ناحية فجعلت راحلته ترغو، فقال رب البيت، من هذا الذي آذانا رغاء راحلته ولم ينزل علينا فيستوجب حق الضيف: فقال الضيف: كفى برغائنا مناديا.

زعموا أن رجلاً أتى امرأة يخطبها

فأنعظ وهي تكلمه فجعل كلما كلمته ازداد انعاضاً، و جعل يستحيي ممن حضر من أهلها، ويقول، ويضع يده على ذكره: إليك يساق الحديث، فأرسلها مثلاً.

أغار بنو فقعمس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية على ناس من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فأصابوا إبلاً من إبلهم فاقتسموها، فصار لشأن بن الأشد بن عمرو بن دثار بن فقعمس لقحتان، وصارت لبني حذلم بن فقعمس بكرة، أمها إحدى لقحتي شأس، فجعلها بنو حذلم في إبلهم، فجعلت تجالذ إلى أمها عند شأس، فعمد شأس وقد نزلوا بوادي طلع فأحرق من شجره ثم لطخها حتى اسودت، فجاء بنو حذلم ينشدون بكرتهم فقال لهم شأس: هذه بكرتكم، ففضبوا وقالوا:

أتستخرمننا؟ قال: إنكم لا تعقلون، قالوا: بل أنت لا تعقل، قال: فان شتمت نافرتمكم على نهي ونهيتكم إنما بكرتكم، ففعلوا، فغسلها بالماء فعرفوها، فأخذ نهبهم. فأتوا خالد بن عمرو بن حذلم وكان يسمى الكيس

فذكروا ذلك له، فقال: انتم ضيعتم نهبكم، قالوا: بل أنت تريد ان تخذلنا، قال: بل أعلم من القوم مالا

تعلمون: فإذا لقيتم أول غلام من بني دثار بن فقعمس يعلم إنكم جنتم: في هذا الأمر قاتلكم، فانطلق معهم فلقوا غلاماً من بني دثار بن فقعمس فقال لهم: هلم فانحلب لكم، قالوا: لا حاجة لنا في لبنكم، قد ظلمتم

وقطعتم، قال: وفي أي أمر انتم؟ قالوا: في الإبل التي اخذ شأس، فأخذ سهماً فرمى خالداً فأخطأه وأصاب واسطة الرحل، فركض خالدٌ جملة وقال قد أخبرتكم الخبر: وقال يابوين ما اكيسني فأرسلها مثلاً.

بوين: تصغير بان، وقال في ذلك خالد:

لعمرى لقد حذرتكم ونهيتكم ... وابتأتكم ان لاغنيمة في شأس

ولست بعيدٍ يتقي سخط ربه ... إذا لم تلمني في مجاملة الناس
؟؟؟؟

زعموا أن دغة بنت معنح

كانت امرأة من جرهم، فتزوجها رجل منهم قبل ان تبلغ الحيض، فحملت ولم تشعر بالحمل لحدائثة سنها فأخذها الطلق أهلها سائرون، فترلت منزلاً فانطلقت تبرز، فولدت وهي تبرز، فصاح الصبي، فرجعت إلى أمها فقالت: يأماتاه، هل يفتح الجعرفاه، قالت: نعم ويدعو أباه، فأرسلها مثلاً، فقيل أحق من دغة.

وزعموا أن دغة

كانت قد بلغت مبلغ النساء من الشرف والعقل، فحسدها ضرائرها إن أنساع بعيرها كنّ يلفين حمراً ترهر وتنتظ قملن: إنا نخاف ان يمر بنا الرجال فيسمعوا هذا الأيطيط، فيظنوا ان بعضنا قد أحدث - فلو دهنت أنساعك فلم تبتط كان ذلك أمثلاً، فعمدت إلى طرف نسعتها فدهنتها، وخافت ان يكن حسدتها حمرة سيورها وجهان، فدهنت طرف السنعي لتتظر كيف يكون، فاسودما دهنت ، فعرفت ما أردن بما فكفت، فلقينها فسألنها: كيف رأيت الدهن للنسعة؟ قالت: هين لين وأودت العين، فأرسلتها مثلاً، تقول ذهب حسنه وحمرة ونبت العين عنه.

زعموا أن رهطاً من قوم دغة

تجاعلوا على نسائهم أيتهن أطوع لهم فأعظمووا الخطر، فقالوا: يأمر كل رجل منكم امرأته تنزل على هذه القرية من النمل تنعش، فجعلت امرأة الرجل منهن إذا مرت على القرية فأمرها زوجها ان تنزل ابنت، حتى مررن كلهن، ثم مرت دغة فقال لها زوجها: انزلي على هذه القرية، ففعلت، فقال لها خادمها: أتزلي من بين هؤلاء النساء على هذا النمل؟ أنت أضعفهن رأياً، فقالت: القوم ما طبون ويروي ما أطبون أي ما أبصرهم فأرسلتها واخذ زوجها الخطر الذي كانوا خاطروا عليه، وكان فيما ذكروا الخطر على أهل الرجل وماله.

زعموا أن قوماً من العرب

كانت لهم ماشية من إبل وغنم، فوقع فيها الموت فجعلت تموت فيأكل كلابهم من لحومها، فأخصبت وسمت، فقيل: نعم كلب من بؤس أهله، فذهبت مثلاً.

زعموا أن ناساً من العرب

كانت لهم في مملكتهم شدة، فكلفوا أمة لهم طحيناً او عدوها إن لم تفرغ منه ضربوها، فطحنته، حتى إذا لم يبق إلا مالا بال به ضجرت فاخنت حتى قتلت نفسها، فقيل كالتاحنة فذهبت مثلاً، يضرب للذي يكسل عن الأمر بعد اتضاحه.

زعموا أن زهير بن جناب بن هبل الكلبي

وفد عاشر عشرة من مضر وربيعة إلى امرئ القيس بن عمرو بن المنذر ابن ماء السماء فأكرمهم ونادمهم وأحسن إليهم، وأعطى لكل واحد منهم مائة من الإبل، فغضب زهير فقال: قد تخرج الخمر من الضنين.

فغضب امرؤ القيس فقال: أو مني يا زهير؟ قال: ومنك، فغضب الملك فاقسم لا يعطي رجلاً منهم بعيراً، فالامه أصحابه فقالوا: ما حملك على ما قلت؟ قال: حسدكم إن تجعوا إلى هذا الحي من نزار بتسعمائة بعير وأرجع إلى قضاة بمائة من الإبل ليس غيرها.

زعموا أن المتلمس صاحب الصحيفة

كان أشعر أهل زمانه، وهو أحد بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وانه وقف ذات يوم على مجلس لبني قيس بن ثعلبة، وطرفة بين العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة يلعب مع الغلمان، فاستنشد أهل المجلس المتلمس فلما أنشدهم اقبل طرفة بن العبد مع الغلمان يسمعون، فزعموا ان المتلمس أنشدهم هذا البيت:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكلم

الصيعرية سمة يوسم بها النوق باليمن دون الجمال، فقال طرفة: استنوق الجمل، فأرسلها مثلاً، فضحك القوم، وغضب المتلمس ونظر إلى لسان طرفة وقال: ويل لهذا من هذا يعني نفسه من لسانه، كذا رواه الفضل وإنما الخبر بين المسيب بن علس الضبيعي وبين طرفة.

زعموا أن عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، وكان عم النعمان، وكان يرشح أخاه قابوس بن المنذر - وهما هند ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار - ليملك بعده، فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما في صحابة قابوس، وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شاباً يعجبه اللهو، وكان يركب يوماً في الصيد فيتر كض فيتصيد، وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد لغبا، فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان ببابه النهار كله فلا يصلان إليه، فضجر طرفة فقال:

وليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوئاً حول قبتنا تخور

من المزمزات أسبل قادماتها ... وضرتها مركنة درور

يشار كنا لنا رخلان فيها ... ويعلوها الكباش فما تنور

لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير

قسمت الدهر في زمن رخي ... كذاك الحكم يقسط أو يجور

لنا يوم وللكروان يوم ... تطير البائسات ولا نظير

فأما يومهن فيوم سوء ... تطاردهن بالحدب الصقور

وأما يومنا فنظل ركباً ... وقوفاً ما نحل وما نسير

وكان طرفة عدواً لابن عمه عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، وكان عبد عمرو كريماً عند بن هند، وكان سميماً بادناً فدخل مع عمرو الحمام، فلما تجرد قال: لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين قال ما قال،

وكان طرفة هجا عبد عمرو قبل ذلك فقال:
ولاخير فيه غير أن قيل واحداً ... وأن له كشحاً إذا قام أهضماً
يظل نساء الحلي يعكفن حوله ... يقلن عسيب من سرارة ملهماً
له شريتان بالعشيّ وشربة ... من الليل حتى آض جيشاً مورماً
كان السلاح فوق شعبة بانة ... ترى نفخاً ورد الأسرة أسحماً
ويشرب حتى تخمر المحض قلبه ... وإن أعطه أترك لقلبي مجنماً
فلما قال ذلك قال له عبد عمرو: ما قال لك شر مما قال لي ثم انشده قول طرفة:

وليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوئاً حول قبتنا تخور

قال عمرو: وما أصدقك عليه - وقد صدقه، ولكن عمراً خاف ان يذره وتدركه له الرحم - فمكث غير
كثير ثم دعا المتلمس وطرفة فقال: لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما، وسركما أن تنصرفا، قالوا: نعم، فكتب
لهما إلى عاملة على هجر ان يقتلها، وأخبرهما أنه قد كتب لهما بجباةٍ ومعروف، فأعطى كل واحد منهما
صحيفة، فخرجا وكان المتلمس قد أسن فمر بنهر الحيرة على غلمان يلعبون المتلمس: هل لك أن تنظر في
كتابنا فان كان خيراً مضينا له، وإن كان شراً القينا، فأبى عليه طرفة، فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان
فقرأه عليه فاذا فيه السوأة، فالقى كتابه في الماء وقال لطرفة: اطعني وألق كتابك، فأبى طرفة ومضى بكتابه
حتى أتى به عاملة فقتله، ومضى المتلمس حتى لحق بملوك جفنة بالشأم، فقال في ذلك المتلمس:

من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس

أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حباته المتلمس

ألقي صحيفته ونجت رحله ... عنس مداخلة الفقارة عرمس

؟؟

زعموا أن أخوين

كانا فيما مضى في ابل لهما فأجدبت بلادهما، وكان قريباً منهما وادٍ فيه حية قد حمته من كل واحد، فقال
أحدهما للآخر: يا فلان لو أبي أتيت هذا الوادي المكلىء فرعيت فيه ابلي وأصلحتيها، فقال له أخوه: إني
أحاف عليك الحية، ألا ترى أحداً لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته؟ قال: فوالله لأهبطن، فهبط ذلك الوادي
فرعى إبله به زماناً، ثم إن الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير و لأطلبن الحية فأقتلها
أو لأتبعن أخي، فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها، فقالت: أأست ترى أبي قتلت أخاك، فهل لك في
الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت ديناراً في كل يوم، قال: أفاعلة أنت؟ قالت: نعم،
قال: فإني أفعل، فحلف لها وأعطاها الموائيق لا يضيرها، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً فكثرت ماله ونبت إبله،
حتى كان من أحسن الناس حالاً، ثم ذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا انظر إلى قاتل أخي فلان،
فعمد إلى فأس فأحدها ثم قعد لها فمرت به فثبعها فضر بها فأخطأها ودخلت الجحر ووقع الفأس بالجبل فوق

جحرها فأثر فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه، فلما رأى ذلك وتخوف شرها
ندم، فقال لها: هل لك في: ان تنواتق وعود إلى ما كنا عليه، فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك وانت
فاجر لا تبالي العهد. فكان حديث. الحية والفأس مثلاً مشهوراً من أمثال العرب. قال نابغة بن ذبيان:
ليهناً لكم إن قد نفيتم بيوتنا ... مكان عبدان اخلى باقره
فلو شهدت سهم وأفناء مالك ... فتعذرنى من مرة المتناصرة
لجاءوا بجمع لم ير الناس مثله ... تضاعل منه بالعشي قصائره
وإني لألقى من ذوي الضغن منهم ... وما اصبحت تشكو من الشجر ساهرة
كما لقيت ذات الصفا من حليفها ... وكانت تديه المال غباً وظاهره
تذكر أنى يجعل الله جنّة ... فيصبح ذا مال ويقتل واتره
فلما توفى العقل إلا اقله ... وجارت به نفس عن الخير جائره
فلما رأى إن ثمر الله ماله ... وأثل موجوداً وسد مفاقره
أكب على فأس يحد غرابها ... مذكرة بين المعادل باتره
فقام لها من فوق حجر مشيد ... ليقتلها أو يخطيء الكف بادره
فلما وقاها الله ضربة فاسه ... وللبير عين لا تغمض ناظره
تندم لما فاته الدّحل عندما ... وكانت له إذا خاس بالعهد قاهرة
فقال يمين الله أفعّل إنني ... رأيتك مسحوراً يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقابلي ... وضربة فأس فوق رأسي فاقره

— .٧

٢١